

جامعة سبها

كلية التربية- براك

قسم التاريخ

بحث مقدم لاستكمال متطلبات الليسانس في التاريخ بعنوان:

(تاريخ مدينة مرزق السياسي والاقتصادي والاجتماعي 1550 – 1911م)

إعداد الطالبة :

اعجيلية عبدالله سعد عمارة الربيعي

إشراف الدكتور :

عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد

العام الجامعي

2017-2018م

الفهرس

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [1] .

صدق الله العظيم

---

[1]- سورة التوبة ، ألآية : 105

الإهداء

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، إلى منارة العلم ومعلم المتعلمين إلى سيد الخلق إمام المرسلين إلى الأمي الذي علم المتعلمين

سيدي رسول الله

إلى الذين قدموا إلي حياتهم وغمروني بالحب والحنان وعلموني معنى الوفاء والعرفان وأحبوني حب فاق حصى الرمال وزرعوا فيا كبريائي فاق شموخ الجبال، إلى مدرستي الأولى ووطني الأول، إلى من أعطوا وأجزلوا العطاء، وزرعوا فيا طموحا يدفعني نحو الأمام، إلى الذين لن استطع أن أوفيهم حقهما مهما فعلت إلى الذين انتظروا هذه اللحظة بفارغ الصبر

أمي وأبي العزيزين

إلى من عاشوا معي في الحياة حلوها ومرها، إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله إلى من آثروني على نفسهم إلى من عشت معهم أجمل اللحظات

إخوتي وأخواتي

إلى الذين تشرفت بمعرفتهم وسعدت برفقتهم في مسيرتي الدراسية

إلى الذين شكلوا جزاء مهماً في حياتي ومن الصعب نسيانه

أصدقائي وأحبائي

إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة وإلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والى الذين أعطوني جهدهم وساعدوني في إتمام مسيرتي التعليمية وغدوا فكري بالعلم والمعرفة

أساتذتي

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين أولا وأخيرا الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعانني على أداء هذا الواجب ووفقني إلى انجاز هذا العمل وما توفيقي إلا بالله عز وجل

أما بعد

أتقدم بخالص الشكر والتقدير والاحترام إلى مشرف البحث الذي لم يألوا جهداً في مساعدتي واشكره على توجيهاته القيمة وأرائه السديدة التي أضاءت أمامي الطريق حتى تمكنت من إظهار هذا البحث بهذه الصورة فجزاه الله كل خير

د.عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من مد يد العون وساعدني في إعداد هذا البحث المتواضع إلى

د. غزلان أمحمد الزر وق وإلى د. السيد حسين الربيعي

وإلى جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية التربية

وأتقدم بخالص بالشكر والعرفان إلى أساتذتي بقسم التاريخ

1- الأستاذة أم اشناف

2- الأستاذ خالد محمد أبوعجاجة

3- الأستاذ سالم احمد ميهوب

4- الأستاذة نسرين على

5- الدكتور عثمان عبدالله

6- الأستاذ أبو القاسم أبو عزوم

المقدمة:

تقع مدينة مرزق في الجنوب الليبي وهي من أهم الواحات الليبية التي تأسست على يد أولاد أمحمد الفاسي الذين وصلوا إلى السلطة بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي في إقليم فزان، فاتخذها المنتصر عاصمة سياسية واقتصادية لدولته سنة 1577م، بسبب أهمية موقعها الجغرافي الذي جعلها حلقة وصل مابين بلاد السودان وشمال إفريقيا ومصر وكانت مرزق نقطة التقاء القوافل الصحراوية العابرة ومحطة رئيسية لاستراحة القوافل وبوابة ليبيا الرئيسية لما وراء الصحراء حيث لعبت المدينة دورا كبير في ازدهار التجارة بالإضافة إلى نشاط وتوطيد العلاقات الاجتماعية والثقافية بين مرزق وبلاد السودان.

مشكلة البحث:

يرجع سبب اختياري لتاريخ مدينة مرزق إلى قلة البحوث التاريخية عنها،كدولة قامت وبرزت بشكل كبير في الجنوب الليبي والتي استمرت مايقارب الثلاث قرون، فعلى الرغم من إن هذه المدينة برزت واستمرت لفترة طويلة إلا إن الكثير منا لايعلم سوي القليل عنها فهذه المدينة جزء من تاريخنا وحضارتنا،فمدينة مرزق تعد من أهم الواحات الليبية التي لعبت دورا كبير في الجانب الاقتصادي لمدينة طرابلس ودول شمال أفريقيا، فقلة المصادر والمراجع في مكتبة كلية التربية من ابرز المشكلات التي واجهتها الباحثة.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في إلقاء الضوء على حقبة هامة من تاريخ فزان الحديث،وإبراز دور المدينة السياسي والاقتصادي والاجتماعي في فزان ومحيطها الأفريقي.

أهداف البحث:

تسليط الضوء على تاريخ المدينة السياسي والاقتصادي وأثره على الجانب الاجتماعي، والأوضاع السياسية التي كانت عليها المنطقة قبل تأسيسها، ونشأتها

والعوامل التي ساعدت في تطويرها وازدهارها سياسيا واقتصاديا خلال القرن التاسع عشر والتي جعلت من مدينة مرزق مركز هام ونقطة التقاء للقوافل التجارية الصحراوية.

تساؤلات البحث:

سيجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

- كيف كانت الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا وفزان في مطلع القرن السادس عشر الميلادي؟
- متى أسست هذه المدينة والعوامل التي ساعدت على ذلك ؟
- لماذا كانت الأطماع العثمانية تتجه إلى فزان ؟
- ماهي أسباب صراع أولاد أمحمد مع الأتراك ؟
- ما دوافع الفرنسيين للسيطرة على الصحراء الكبرى وأثره على إقليم فزان؟
- ماهي أهم المراكز التجارية للطرق القوافل ؟
- ما هي أهم الصناعات التي اشتهرت في مرزق ؟
- ما هو اثر التجارة على الوضع الاجتماعي و نشر الدين الإسلامي؟

منهج البحث :

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

حدود الدراسة :

الحدود الزمنية: ((1550-1911م)).

الحدود المكانية : إقليم فزان .

الدارسات السابقة :

اعتمدت الباحثة على بعض المصادر والمراجع وبعض البحوث التاريخية التي كونت من خلالها معلومات هامة لكتابة هذا البحث ومن ابرز هذه المصادر والمراجع:

1- دراسة قام بها حبيب وداعة الحسناوي، بعنوان تاريخ فزان، وقد تمت الاستفادة منه في الفصل الثاني.

2- دراسة قام بها أيضا رجب نصير الأبيض بعنوان مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، واستفادت الباحثة من هذه الدراسة في الفصل الأول والفصل الثالث.

3- دراسة قام بها عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد، بعنوان الأوروبيين وتجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب ليبيا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وتمت الاستفادة من هده الدراسة في الجانب السياسي.

4- وأيضا دراسة قام بها علي صالح السنوسي، بعنوان عهد أولاد أمحمد بفزان (1550-1813م)، تمت الاستفادة من هذه الدراسة في الفصل الأول.

5- ودراسة، المختار الجدال، وعنوانها طرق تجارة القوافل عبر الصحراء الليبية،وتمت الاستفادة منه في الفصل الثالث.

6- وكذلك تمت الاستفادة من دراسة قام بها، الطاهر المهدي بن عريفة، بعنوان تاريخ فزان الثقافي والاجتماعي، وتمت الاستفادة منه في الفصل الثالث.

7- وتمت الاستفادة أيضا من دراسة قامت بها منيرة علي مسعود الشيخي، بعنوان الأوضاع الإدارية والاجتماعية والثقافية في مدينة مرزق من (1842-1911م)، وتمت الاستفادة منه في الفصل الثالث.

8- وتمت الاستفادة كذلك من بعض المؤلفات المعربة مثل: كتاب ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م للايطالي(روسى،أتوري).

وتتكون الدراسة التي تتناول تاريخ مدينة مرزق السياسي والاقتصادي (1550-1911) من مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول رئيسية، بالإضافة للخاتمة، والتوصيات والنتائج، والملاحق، وقائمة المصادر والمراجع.

وتناولات الباحثة في الفصل التمهيدي: الموقع، والمناخ، والسكان، وكتابات الرحالة والمؤرخين عن المدينة.

أما الفصل الأول: فسلطت الباحثة الضوء فيه على الأوضاع السياسية بشكل عام في نهاية القرن الخامس عشر، وركزت الباحثة في المبحث الأول على الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا قبل ظهور أمحمد الفاسي على الساحة السياسية، بينما جعلت الباحثة المبحث الثاني يتناول ظهور أمحمد الفاسي، وتأسيس مدينة مرزق وإنتقال العاصمة إليها، أما المبحث الثالث فتناول نظام الحكم والنظام الإداري في مدينة مرزق.

وتناولات الباحثة في الفصل الثاني: (العلاقات الخارجية لمدينة مرزق)، وركزت الباحثة في المبحث الأول على صراع أولاد أمحمد مع الأتراك، أما المبحث الثاني فتم فيه تسليط الضوء على العلاقات السياسية بين الفاسيين والقره مانليين في ولاية طرابلس، أما المبحث الثالث فركزت فيه على الصراع التركي الفرنسي على الصحراء.

بينما تم تخصيص الفصل الثالث: (للجانب الاقتصادي) فقد ركزت الباحثة في المبحث الأول على الإنتاج المحلي للمدينة وتجارة القوافل الداخلية أما المبحث الثاني فخصص لتجارة القوافل الصحراوية، والطرق، والمراكز العمرانية، وأنواع البضائع(سلع العبور)، وأما المبحث الثالث فقد ركز على أثر تجارة القوافل على الحياة الاجتماعية،ونشر الدين الإسلامي، والفنون، والتعليم، والثقافة.

وفي الخاتمة قامت الباحثة بالتركيز على أسباب انهيار تجارة القوافل ونتائجها على مدينة مرزق.

وتم استعمال بعض الاختصارات في هذه الدراسة مثلا: (د.ت) : بدون تاريخ، و(مط) : مطبعة، و(تر): ترجمة، و(تحق): تحقيق، و (ج): جزء، و(ص): صفحة، (ص ص): صفحات.

التمهيد:

تقع مدينة مرزق في الجنوب الليبي وهي من أهم الواحات الليبية الداخلية والتي أصبحت مركز مهم للقوافل التجارية الصحراوية حيث شكلت حلقة وصل مابين شمال القارة الإفريقية وبين بلاد السودان الأوسط والغربي نظراً لموقعها الاستراتيجي حيث زادت الصلات الحضارية والاقتصادية ببلاد السودان وازدهرت مدينة مرزق وتصاعد نشاطها ونفوذها السياسي الاقتصادي الأمر الذي جعلها مركز سياسي واقتصادي مهم لفترة طويلة ونقطة التقاء للقوافل العابرة وبوابة ليبيا الرئيسية لما وراء الصحراء[1].

انحصر موقع المدينة بين مركزين عمرانيين هما طرابلس في الشمال وتشاد في الجنوب، حيث وقعت في الجزء الجنوبي من ولاية طرابلس الغرب، والجزء الشمالي للصحراء الكبرى[2].

فقد حدد موقعها الرحالة ((جون فرنسيس ليون)) عندما زارها سنة 1818م، فهي تقع على خط عرض 25،54° شمالا، وخط طول 15،52° شرقا[3]، فتبعد مدينة مرزق عن جنوب طرابلس (1000كم)، وإلى الجنوب من مدينة سبها بمسافة (135كم) والى الغرب من مدينة زويلة بمسافة (135كم) والى الشرق من مدينة جرمة (130كم)، ويحدها من الجنوب بحر الرمال ومن الشمال الحمادة وجبال الحجارة السوداء[4]، وجبال الأزقر من الغرب[5].

---

[1]- الأبيض، رجب نصير، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ص: 11.

[2] -الشيخي، منيرة علي مسعود، الأوضاع الإدارية والاجتماعية والثقافية في مدينة مرزق(1842- 1911م)، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، دار الكتب الوطنية – بنغازي، ط: الاولى2010، ص:28.

[3]- ليون،جون فرنسيس، (من طرابلس إلى فزان 1818-1822م ،تر:مصطفى جودة ،الدار العربية للكتاب 1979م)، ص: 208.

[4]- عبد الصمد،عبد القادر عبد الصمد، الأوروبيين وتجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم درمان الإسلامية، 2007م، ص: 67.

[5]- رولفس، رحلة عبر أفريقيا 1865-1867م، تر: د.عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين، ط:الأولى1996، ص: 261.

فلا توجد عوائق طبيعية قاسية أو اختلافات في مظاهر سطح الأرض والسكان ولا توجد أيضا حدود سياسية لا يمكن تخطيه أو تعيق حركة الاتصال بين سكانها، فالصحراء الكبرى تربط ليبيا بجنوب القارة الأفريقية فالقارة الافريقية وحدة سياسية واجتماعية متكاملة[1].

مدينة مرزق حوض كبير يحده من الشمال سرير القطوس، ومن الجنوب رملة مرزق ومعظم أجزاء الحوض الجنوبي مناطق رملية، ويطلق عليها اسم أدهان مرزق أو رملة مرزق[2].

أما بالنسبة لمناخ مدينة مرزق فهو مناخ صحراوي فهي شديدة الحرارة صيفاً خصوصا عندما تهب الرياح الجنوبية المحملة بالأتربة، أما في فصل الشتاء فهي شديدة البرودة خصوصاً في فترة المساء، فالأمطار فيها قليلة ونادراً ماتمطر[3]، فوصف **"رولفس"** مناخها بأنه خطير وغير صحي للغرباء خصوصا في فصل الصيف بسبب ارتفاع درجات الحرارة وجفاف هوائه[4]، فمن وجهة نظر **"الأبيض"** أنه أمر مبالغ فيه نوعا ما فعلى الرغم من مناخها الصحراوي وقلة نسبة سقوط الأمطار فيه إلا أنها أصبحت عاصمة لأولاد أمحمد ما يقارب الثلاث قرون فازدهرت مرزق ازدهاراً باهراً في التجارة وازداد توافد السكان والتجار فأصبحت من أكثر المناطق الأهالة بالسكان، حتى أصبح يطلق عليها (باريس الصحراء)، فلم يكن مناخ مرزق في يوم من الأيام عقبة أمام تطورها عمرانياً وسكنياً، فقد تعود الأهالي على شح الأمطار والجفاف ودرجات الحرارة المرتفعة[5].

وخلال العام تتعرض المنطقة إلى هبوب رياح شديدة ففي الصباح تهب الرياح الجنوبية الشرقية، وفي فترة المساء تهب الرياح الشمالية الغربية، وتسود في

---

[1] - الفيتورى، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)، دار الكتب الوطنية – بنغازي، ط: الأولى – 1998م، ص: 130.

[2] - شرف، عبد العزيز طريح،جغرافية ليبيا، مركز الإسكندرية للكتاب،ط :3،1995م، ص: 89-90.

[3]- هورنمان، فريدريك، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797م، تر:مصطفى محمد جوده، مكتبة الفر جاني طرابلس- ليبيا 1968م، ص:85.

[4]- رولفس، المرجع السابق، ص: 277.

[5]- الأبيض، رحب نصير، مرجع سابق ،ص: 81.

المنطقة الرياح الشمالية الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية الغربية، والجنوبية الغربية[1].

وتشتهر المنطقة بزراعة أشجار النخيل فسكان مرزق اعتمدو على زراعة النخيل بأصنافه المتنوعة وهو يعتبر المصدر الرئيسي لغدائهم نتيجة لتوفر المياه الجوفية بالإضافة إلى زراعة أشجار التين والرمان بالإضافة إلى بعض الزراعات الموسمية البسيطة فكان معظم السكان يزاولون مهنة الزراعة والرعي بالإضافة إلى مهنة التجارة عندما أصبحت مرزق العاصمة السياسية والاقتصادية[2].

سكان مرزق من أصول عرقية مختلطة فمنهم السكان المحليين وهم السكان الأصليين لمرزق، بالإضافة إلى القبائل العربية والبربر والتبو والطوارق، والمرابطون المغاربة الذين عملوا في تامين طرق الحج وتدريس القرآن الكريم ومبادئ الدين الحنيف، بالإضافة إلى طائفة الجند أو المماليك فهده الطائفة لأتملك ولآت قبيلة معينة، فاعتمد أولاد أمحمد عليهم في حفظ النظام واستتباب الأمن وتنفيذ أوامر السلطان[3]، بالإضافة إلى الخليط والانصهار الذي حدث مع الشعوب الأفريقية مثل: الهوسا، والزنوج، والطوارق[4].

فالتركيبة السكانية للمدينة تكونت بسبب الأوضاع التجارية والاقتصادية، وهذه الأوضاع خلقت مجتمع ذو تركيبة سكانية متنوعة عن باقي المناطق في فزان، فتوافدت القبائل العربية على المدينة من جميع الأقطار العربية بالإضافة إلى التبو والطوارق وكذلك العنصر التركي بالإضافة إلى عنصر الرقيق، فمعظم المهاجرين إلى المدينة كانوا قادمين من أجل عملية التجارة فهذه التركيبة السكانية جعلت من مرزق مركز تجاري وثقافي[5].

---

[1]- بن عريفة، الطاهر المهدي، تاريخ فزان الثقافي الاجتماعي، دار الكتب الوطنية – بنغازي، الطبعة الأولى – 2010م، ص: 21.

[2]- رولفس، المرجع السابق ،ص: 265.

[3]- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 238-239.

[4]- رولفس، مرجع سابق، ص: 269.

[5]- الشيخي، منيرة علي مسعود، مرجع سابق، ص: 82.

فهذا الخليط في التركيبة السكانية أدى إلى التلاحم البنيوي بين جميع عناصرها السكانية المتآلفة من الحضر المزارعين الذين يرتبطون بعلاقات وثيقة بالرحل من الرعاة والتجار[1].

ويرى **فريدريك هورنمان** الذي زار المدينة سنة 1797م انه ليس من السهل إحصاء سكان فزان بسبب بعد المناطق عن بعضها، فقدرهم بحوالي سبعين أو خمسة وسبعين ألف، فيختلفون في لون بشرتهم فسكان الشمال يشبهون العرب في ملامحهم ولون بشرتهم، أما سكان الغرب فيشبهون وإلى حد كبير التبو والطوارق، والزنوج، فقد امتزجوا بسكان البلاد المجاورة فهم دون استثناء مسلمون[2].

فوصف الحشائشي مرزق فقال: **"هي قاعدة فزان الكبرى وبها المتصرف والعسكر، وتبعد عن مدينة طرابلس ثلاثين يوما للقوافل"** ووصفه أيضا بأنها **"بلد كثيرة العيون والنخيل وماؤه في غاية العذوبة"**[3].

وكذلك اهتم **جون فرنسيس** بوصف مدينة مرزق وقال بأنها : **"مدينة مسورة يسكنها حوالي ألفين وخمسمائة من الأهالي السود الذين لا يغيرون سكناهم كما يفعل البدو، وسور المدينة طيني به بعض الفتحات، ويرتفع مسافة خمسين قدما، وللمدينة سبعة أبواب، ومعظم الم نازل مشيدة من طابق واحد فهي لا تتسم بالاتساق والمنازل متلاصقة وفي شوارع ضيقة"**[4].

ووصف **الحسن الوزان** فزان فقال: **"هي منطقة كبيرة جداً مكونة من قصور وقرى عظيمة وكبيرة وهي عامرة بأناس أغنياء يملكون النخيل والأموال، ويحكمه أمير وهو المتصرف في جميع موارد البلاد"**[5]، وكذلك وصف **جيمس**

---

[1]- الريان، محمد رجائي، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، حمادة للنشر والتوزيع – اليازوري، الأردن، ص: 208.

[2]- هورنمان، مرجع سابق، ص: 91.

[3] - الحشائشي، محمد بن عثمان، رحلة الحشائشي إلى ليبيا 1895م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب)، تحق: علي المصراتي، لبنان-بيروت، ط: الاولي1965م، ص: 79.

[4] - ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 75.

[5] - بن عريفة، مرجع سابق،ص: 231 .

ويللارد مدينة مرزق في كتابه "الصحراء الكبرى"، "**بأنها واحة جميلة محصورة بين منطقتين صحراويتين**"[1].

وفزان عبارة عن مجموعة من الواحات والأحواض المتناثرة، وهي تملك حدود طبيعية تفصلها عن المناطق الأخرى، وتتكون فزان من ثلاثمائة قرية تقريبا بنيت من الطين، ففي كل قرية عدد كبير من أشجار النخيل، ومعظم أرضيه غير صالحة للزراعة فتحيط بها الصحراء من جميع الاتجاهات، وأرضها صلد لا نبات بها، واشتهرت مرزق بعذوبة ماؤه وكثرة العيون والآبار والنخيل[2].

---

[1] - الأبيض، المرجع السابق، ص: 55.

[2] - الدناصوري، جمال الدين، جغرافية فزان دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، مط: دار ليبيا – بنغازي، 1967م، ص: 31.

الفصل الأول

(الأوضاع في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي)

المبحث الأول

الأوضاع السياسية في شمال إفريقيا

قبل ظهور أمحمد الفاسي

كانت نهاية القرن الخامس العشر الميلادي؛ عصر اضطراب وتغيرات جذرية سياسية واقتصادية في شمال أفريقيا بكامله حيث انهارت المملكة الحفصية في شمال أفريقيا، وتشكل في الشمال الإفريقي حكما ذاتيا يرأسه (شيخ) بالإضافة إلى الزعماء المحليون[1].

ففي سنة 1453م استطاع العثمانيون فتح القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح، واستطاعوا التوسع في فتوحاتهم والاستيلاء على عدة مناطق في أوروبا واسيا وامتدت أراضيها لتشمل أنحاء كبيرة من قارات العالم القديم وكذلك سيطرة على أهم البحار والمحيطات، حيث أدت هذه الفتوحات إلى زيادة حدة التناقض السياسي والديني بين الشرق والغرب حيث إن الدولة العثمانية تدين بالدين الإسلامي، والدول الأوروبية تدين بالدين المسيحي[2].

فقام الملك الكاثوليكي فرديناند دي والملكة إيزابيلا بإصدار قرار لطرد جميع المسلمين من الأندلس[3]، فقام الأسبان بطرد العرب من الأندلس واحتلال غرناطة أخر مملكة عربية في اسبانيا سنة 1492م[4].

فكان لسقوط الأندلس اثر كبير في هجرة المسلمين العرب إلى شمال أفريقيا فحدث تغير كبير في التركيبة الاجتماعية والسياسية[5]، فكان شمال أفريقيا هو اكبر ميدان وملجاء لهذه الهجرات الوافدة من الأندلس، فزادت رغبة وحمية الأسبان في مطاردة المسلمين والانتقام منهم والقضاء على الدين الإسلامي وارتكاب أبشع الأعمال الهمجية والوحشية ضد المسلمين[6].

1- روسي، إتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911م، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب – الإسكندرية، ط: الأولى، 1974م، ص: 147

2- روسي، إتوري، المرجع نفسه، ص: 167.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسه.

4- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق ، ص: 42.

5- السنوسي، علي صالح، عهد أولاد أمحمد بفزان 1550-1813م، رسالة ماجستير غير منشورة، 2010م، ص: 42.

6- ابن غلبون ،عبد الله محمد خليل، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار ،ط :الأولي ،مط : دار الكتاب الوطنية بنغازي - ليبيا، تر: الطاهر احمد الزاوي ،ص: 134.

ففي الوقت الذي كان الأسبان يريدون السيطرة على المراكز الساحلية في شمال أفريقيا والانتقام من المسلمين والقضاء على الدين الإسلامي، ظهرت الدولة العثمانية على سواحل البحر المتوسط كقوة مسلمة وتدافع عن الدين الإسلامي حيث أن الأسبان قوة مسيحية تحارب الإسلام والمسلمين، فلم يهمل الأسبان أمر هذه الدولة الناشئة وأدركوا الخطر القادم عليهم فجهز الأسبان أسطولهم في البحر المتوسط واستولوا على اكبر وأقوى نقطة دفاع على ساحل البحر المتوسط لمواجهة الخطر العثماني القادم من الشرق، وهي مدينة طرابلس الغرب سنة 1510م، التي كانت تحت حكم الشيخ محمد بن كرب حيث اتخذها الأسبان مركز رئيسي لحملتهم ونقطة دفاع لقواتهم المتواجدة في البحر المتوسط(1).

ويرجع ذلك إلى أن مدينة طرابلس تتميز بساحل طويل يمتد من تونس حتى الإسكندرية وكذلك اشتهرت المدينة بتجارته المزدهرة عبر الأزمنة وثروتها الطائلة، بالإضافة إلى كونها ميناء ومرسى للسفن الغليونية الشراعية(2).

فظهرت رغبة الأسبان في الانتقام من المسلمين والإسلام في ارتكابهم أبشع الأعمال الهمجية فكانوا لا يرحمون كبيرا أو صغيرا، طفلاً أو شيخا، بالإضافة إلى النهب والسلب وهتك الحرمات(3)، فكان العهد الأسباني في طرابلس عهد ظلم واستبداد وصراعات وحروب فعم الخراب والفقر في البلاد بسبب انشغال الناس بالحرب وابتعادهم عن مزاولة أعمالهم(4).

فاستطاع الأسبان المسحيين احتلال أجزاء كثيرة من سواحل شمال أفريقيا وبدء الصراع بين الأسبان والمسلمين، وظهرت في البحر المتوسط هجمات القراصنة الذين تميزوا بالجرأة والأقدام فكانوا يغيرون على سواحل اسبانيا وعلى السفن المسيحية في البحر المتوسط بمساندة الدولة العثمانية، فارتبط الاحتلال

1- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 135.
2- شارل، فيرو، مرجع سابق، ص: 75.
3- ابن غلبون، المصدر السابق، ص: 135.
4- المصدر نفسه، ص: 145.

الاسباني بتاريخ ليبيا الحديث أي انه الصراع المسيحي الإسلامي الذي كان يسود البحر المتوسط والشمال الأفريقي، فانهارت بذلك السلطة السياسية الإسلامية التقليدية في شمال أفريقيا وقامت الحروب والصراعات وانعدام الأمن الأمر الذي أدي إلى انهيار طرق التجارة التقليدية وتردي الوضع السياسي والاقتصادي[1].

ففي سنة 1530م تنازل شارل الخامس عن مدينة طرابلس وجزيرتي مالطة وقوزو، لفرسان القديس يوحنا[2]، بسبب الحروب والصراعات مع ملك فرنسا، للاستفادة من جهود هذه المنظمة لحماية طرابلس فهم أشدا حقدا من الأسبان على المسلمين ورغبة من شارل للتفرغ لحربه مع فرنسا ولكسب الرأي العام المسيحي[3]، ومنذ نزوح العرب من الأندلس أي في نهاية القرن الخامس عشر هيئوا القراصنة العثمانيون الظروف للاستيلاء على كل المناطق الموجودة على سواحل شمال أفريقيا الممتدة من الجزائر إلى طرابلس، فالنشاط الذي أبداه القراصنة الأتراك في البحر المتوسط زاد من صعوبة الوضع بالنسبة للأسبان في مدينة طرابلس[4].

فلم يكن إقليم فزان تابع لولاية طرابلس بل كان تحث حكم سلاطين كانم بواسطة ممثل عنهم يعرف باسم "ماي" يدير شؤون البلاد وعاصمتهم تراغن فضعف حكم الكانميين وتقلص نفوذهم السياسي وفقدوا السيطرة على فزان[5].

فأصبح إقليم فزان يعاني من الاضطراب السياسي بعد تقلص نفوذ الكانميين والخرمان، فهذه النزاعات والصراعات الداخلية أدت إلى وجود فراغ سياسي وانتشار الفوضى وازدياد الصراع بين سكان المناطق على السلطة والتحكم في

---

[1]- بن عريفة ، الطاهر المهدي، المرجع السابق ، ص: 135.

[2]- فرسان القديس يوحنا: جماعة دينية تأسست أيام الحروب الصليبية في بيت المقدس، كان هدفه الأساسي مساعدة فقراء المسيحيين والحجاج المسيحيين عند مجيئهم إلى بيت المقدس أي كانت أهداف هذه المنظمة إنسانية بالنسبة للمسيح، فعندما تمكن صلاح الدين من طرد الصليبيين من بيت المقدس لجاء إلى جزيرة رودس لمزاولة نشاطهم الذي اتصف بالقرصنة على السفن الإسلامية في شرق البحر المتوسط ، مما جعل سلاطين الدولة العثمانية يسعون للقضاء على هذه المنظمة، لذلك تظهر هذه الروح العدائية للمسلمين، روسي، إتوري، مرجع سابق، ص: 189.

[3] - فيرو، شارل، مرجع سابق، ص: 87.

[4]- روسي، إتوري، ص ص: 186 – 188.

[5]- المرجع السابق، ص:272.

طرق التجارة مما سبب في انعدام الأمن وانهيار طرق القوافل التجارية الصحراوية بين الشمال والجنوب(1).

فعلى اثر هذه النزعات أصبحت البلاد مقسمة بين حكام المشايخ الذين يسعون للانفراد بالسلطة والتحكم في طرق القوافل التجارية الصحراوية فالسيادة للأقوى في هذا الإقليم، وعلى الرغم من المناخ الصحراوي وقسوة الحياة ومصاعب الصحراء ومخاطرها إلا أن إقليم فزان استقبل عدداً كبير من الجماعات والأسر القادمين من المغرب، فكانوا على جانب كبير من المعرفة والعلم في الأمور الدينية الأمر الذي جعلهم يلعبون دوراً هام في فزان ومحيطها، حيث ينتمي اغلب سكان فزان إلى قبائل عربية المنشأ هاجرت إلى فزان على شكل جماعات في مراحل زمنية مختلفة(2).

فأسسوا هؤلاء المغاربة الزواية والرابطات لتامين طرق الحج ومساعدة الحجاج فقد أسسوا عدة مراكز في فزان، فكانت تنحصر مهمتهم في فض المنازعات بين القبائل وإقراء القران الكريم وإمامة المسلمين في الصلاة، ومع مرور الوقت أقيمت حولهم هالة من التعظيم والتقديس وأصبحوا محل احترام وتبجيل من قبل السكان(3).

---

[1]- بن عريفة، الطاهر المهدي، المرجع السابق، ص: 228 .

[2]- السنوسي، مرجع سابق، ص ص: 45-43.

[3] - بن عريفة، المرجع السابق ، ص: 230.

المبحث الثاني

ظهور أمحمد الفاسي، وتأسيس مدينة مرزق وانتقال العاصمة إليها

لم يتولى أمحمد الفاسي مقاليد الحكم في فزان عن طريق الصدفة فقد كانت هناك فترة تأسيس لحكم هذه الأسرة التي توارثها أولاده وأحفاده من بعده والتي دامت مايقارب الثلاث قرون، فهناك وثيقة مؤرخة بتاريخ – شهر صفر- 699هـ، تتحدث عن ظهور هذه الأسرة وكيف وصلت إلى فزان والأسباب التي جعلت هذه الأسرة تستقر في المنطقة، حيث كان السيد المبارك عمران قائد لركب الحجاج، وكانت ترافقه زوجته وركبه وكانت وجهة هذا الركب إلى مكة لأداء فريضة الحج، فكانت زوجته حامل في شهرها السادس، فمكث الركب في وادي بالحيران للاستراحة من عناء السفر الطويل، ففي هذه الفترة قدم عليهم شاب من ناحية الجنوب فطلب من السيد المبارك المساعدة لإصلاح الفساد والخراب الذي حل بالمنطقة، من جراء الحروب والصراعات الدائرة بين الكانميين والخرمان، وعلى الرغم من إن السيد المبارك أكد لهذا الشاب إن الركب قاصد زيارة بيت الله الحرام وأداء فريضة الحج، إلا إن هذا الشاب ازداد إصراراً في طلب المساعدة من قائد الركب[1].

فاستقر الكثير من المغاربة في فزان وقاموا بتأسيس الزوايا والمراكز والرابطات في القرن السابع الهجري، لتمهيد وتامين طرق الحج ومساعدة الحجاج وتامين احتياجاتهم لتسهيل أداء فريضة الحج، فتكونت حول المغاربة هالة من التعظيم والتقديس والاحترام والتقدير من قبل السكان، وهذا بالفعل ما حدث لمؤسس دولة أولاد أمحمد الفاسي[2].

وتشير معظم الروايات إلى إن أصل السلطان أمحمد الفاسي من إشراف مدينة فأس (الساقية الحمراء) وكان يعمل في إحدى قوافل الحج القادمة من الساقية الحمراء والسنغال ومالي حيث تمر هذه القوافل بفزان،الأمر الذي جعل لديه شعبية كبيرة بين سكان المناطق التي يمر بها الأمر الذي جعله يتعرف على مواطن القوة والضعف لفزان وسكانه،فلم يكن من السهل على أمحمد الفاسي أن يكون سلطانا

[1] - السنوسي ، علي صالح ، مرجع سابق ، ص: 48.
[2]- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 230.

على دولة أركانه مدمره وخزانتها خاوية وسكانه متصارعين والتخلي عن مصالحه المادية، فطلب الفاسي مهلة لتسوية أوضاعه التجارية وتسوية أمور قوافله، فكان للأحداث التي وقعت في فزان نهاية القرن الخامس عشر سبب في جعل فزان قطر بدون حكومة وهي تقلص نفوذ الكانميين وضعف البلاد والخراب الذي حل بها نتيجة للغزوات والغارات بين الطوارق والخرمان والصراعات للسيطرة على طرق القوافل التجارية، الأمر الذي جعل كبار أهالي فزان يستعينوا بالتاجر أمحمد الفاسي الذي تربطهم به علاقة وطيدا وأن يطلبوا المساعد للقضاء على الخلافات والصراعات القائمة بين السكان وأن يتولى إدارة دفة البلاد[1].

فاستطاع أمحمد الفاسي أن يسيطر على فزان في سنة 1550م، وان يقضي على الفتن الداخلية بما أوتي من دهاء سياسي وحكمة وقدرة على التنظيم السياسي بمساعدة حراس قافلته وأمواله حيث ضم تحت لوائه جميع مناطق وقرى فزان ونُصب الفاسي سلطانا عليهم وتمكن كذلك من إقرار الأمن وأقام لنفسه قلعة في مرزق وتأسست دولة قوية ازدهرات لفترة طويلة وسمية بدولة أولاد أمحمد الفاسي[2]، فامتد نفوذ دولة أولاد أمحمد إلى الكثير من المناطق مثل غدامس وغات حتى بلغت حدود دولته جنوبا المناطق الواقعة فيما وراء الصحراء الكبرى حيث شملت جزء كبيرا من تشاد والنيجر[3].

وتشير معظم الروايات إلى إن أمحمد الفاسي اتخذ من مدينة سبها عاصمة لدولته في بادي الأمر بسبب أهميتها ومكانتها السياسية والاقتصادية، فوصفها "البكري" في القرن الحادي عشر حيث قال أن سبها من أهم مدن فزان و بها جامع وأسواق وكانت أكثر أهمية من مرزق وقتئذ، فأهمية مرزق بدأت تزدهر بمجئ أولاد أمحمد إليها في القرن الخامس عشر الميلادي، حيث أخذ أفراد أسرته بالانتقال من سبها إلى مرزق في عهده، فكان موقعها الجغرافي سبب مهم في جعلها العاصمة

---

[1]- أيوب، محمد سليمان، مرجع سابق، ص: 104.
[2]- بن عريفة، مرجع سابق، ص: 242.
[3]- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص: 28.

السياسية والاقتصادية فهي تأسست في عهد أمحمد الفاسي لكنها لم تصبح العاصمة الفعلية، إلا في عهد المنتصر الفاسي الذي اتخذها عاصمة لدولته سنة 1577م وظلت على مدى قرون المركز السياسي والاقتصادي لدولتهم[1].

تأسيس مدينة مرزق

اقترن تأسيس المدينة بالعامل الاقتصادي من حيث موقع المدينة الجغرافي الذي جعلها مركزاً تجارياً مهم ولقد اندمج العامل الاقتصادي بالعامل السياسي والإداري في تأسيس هذه المدينة، وكانت الظروف الطبيعية للمنطقة عاملاً مهم لاختيار أولاد أمحمد مرزق عاصمة سياسية واقتصادية لدولتهم وذلك بسبب وفرة المياه ووقوعه المدينة في المنطقة الوسطى من حوض مرزق وكذلك وقوع المنطقة على طريق القوافل الصحراوية وانتشار غابات النخيل والمزارع[2].

تأسست مدينة مرزق التي تبدوا أطلالها بارزة للعيان حتى الوقت الحاضر على يد أولاد أمحمد الفاسي الذين بنو المدينة على الطراز المغربي أزقتها ضيقة وبعضها مسقوف ويحيط بالمدينة سور من جميع الجهات وتأخذ المدينة في مجملها شكل بيضاوي مبنية باللبن ومطلية بالجير فاتسعت مرزق بسرعة متزايدة وكان بالمدينة ثلاث أحياء رئيسية ومسجدين كبيرين وهما مسجد القصبة والحناشي والقلعة (القصبة)[3].

القلعة (القصبة) تقع في الطرف الغربي للمدينة عند نهاية شارع الدندل، وهي بناء متين هائل من الطين، بنى أمحمد الفاسي هذه القلعة لصد هجمات البدوا والطوارق، وترتفع القلعة حوالي ثمانين أو تسعين قدما وتبدو القلعة من بعد كبناء حربي حقيقي، ويوجد بها مقر الحكم ومكاتب الحكومة وكذلك تضم مساكن السلطان وحريمه وأبنائه وقصر السلطان، وفي القلعة يوجد مكان يسمي (بالمجلس) بها

---

[1]-الأبيض، رجب نصير، مرجع سابق، ص: 50.

[2]- https: //www.marea. org

[3]- أيوب، محمد سليمان، مرجع سابق، ص: 106.

كرسي للسلطان ويتسع لأربعمائة شخص تقريبا ويحيط بالقلعة سور يفصلها عن المدينة ومنازل السكان[1].

السور يحيط بالمدينة من جميع الاتجاهات وهو مبني من الطين وللمدينة سبعة أبواب ثلاثة منها رئيسية وهي الباب الكبير الذي يقع في الجهة الشرقية، والباب المغمغم يقع في جهة الغرب، وباب البحرية الذي يقع في جهة الشمال، وزود بأربعة أبراج للمراقبة ولحماية المدينة من الاعتداء وهي مربعة الشكل ويبلغ ارتفاعها ثلاثين قدما، ويوجد بالمدينة شارع رئيسي واحد حيث يقسم هذا الشارع المدينة إلى قسمين ويصل هذا الشارع الباب الشرقي بالباب لغربي ويسمى(الدندال) ويوجد في الجهة اليسرى للشارع سوق النساء وفي الجهة اليمنى تقع الدوائر الحكومية والحوانيت[2]، أما المقبرة (الجبانة) تقع خارج السور ويحيط بها سور طيني من جميع الاتجاهات[3].

أقيمت في المدينة ثلاثة أحياء رئيسية أولها حي الرأس الذي يقع جنوب القلعة وكان يقيم في هذا الحي الأثرياء من التجار ومعظم منازل هذا الحي من طابقين وهي مبنية باللبن ومطلية بالجير، أما الحي الثاني فهو حي النازلة يقع شرق القلعة به النزل والفنادق للغرباء ويوجد بهذا الحي ساحة كبيرة للقوافل، أما الحي الثالث فهو حي الزاوية ويقع بالقرب من السوق، واغلب المنازل مشيدة من طابق واحد ومتلاصقة في شوارع ضيقة[4].

---

[1]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 76.

[2]- http://mirathlibya.blogspot.com/ 2017-11-4/11-20pm

[3]- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 238.

[4]- أيوب، محمد سليمان، مرجع سابق، ص: 106.

المبحث الثالث

نظام الحكم في مدينة مرزق

اختلف النظام الإداري في مدينة مرزق وتغير تغير واضح منذ أن توالى أولاد أمحمد الحكم إلى أن استولى الأتراك على المدينة وأطاحوا بحكم أسرة أولاد أمحمد نهائيا، بالنسبة لنظام الحكم في عهد أولاد أمحمد الفاسي فقد كان وراثياً أسرة أولاد أمحمد الفاسي بشكل منظم، وعادة ما ينتقل الحكم من الأب إلى الابن وفي بعض الأحيان يتولى العرش الابن الأكبر في العائلة، واستمرت هذه العادة إلى مايقارب أربع قرون حتى انتهاء نفوذهم، وسار هذا النظام على نفس الأسس التي وضعها أجدادهم، غير انه هذه السياسة أدت إلى النزعات والصراعات على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة[1]، حيث يأتي منصب السلطان وهو سنيُ المذهب؛ على قمة الهرم وهو يمثل رأس الدولة أي لديه السلطة المطلقة في كافة الأمور الإدارية والقضائية، فكان السلطان يحرص دائما على أن يكون نظامه في خدمة مناصريه وتحقيق العدل بين جميع شرائح المجتمع المختلفة بجميع مستوياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية، فكانت من مهام السلطان البت في بعض القضايا وهو المنفذ لأحكام الشريعة الإسلامية[2].

فاعتمد أولاد أمحمد في نظامهم على عدة طوائف وقبائل لحفظ النظام واستتباب الأمن داخل الأقاليم والمناطق التي تحث حكمهم فلم يكن الجيش نظامياً فاعتمدوا على مجموعة من القبائل في حروبهم ولا يتم دفع مرتبات لهم فهم يعتمدون على الغنائم، وكذلك يعتمدون أولاد أمحمد على الجند أو المماليك فهم طائفة لا يملكون ولآت إلى قبيلة معينة فمهمة هذه الطائفة هي حفظ النظام واستتباب الأمن وتنفيذ أوامر السلطان وجمع الأعشار وإرسالها إلى السلطان وكذلك اعتمدوا على المرابطون الذين كانوا يتمتعون بنفوذ كبير في فزان فكانت مهمتهم الرئيسية هي عقد المصالحات وفض المنازعات بين السكان وإقراء أبناء المسلمين القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ الدين الحنيف وإنشاء المراكز والرابطات لتامين الطرق[3].

---

[1]- هورنمان، فريدرك، مرجع سابق، ص: 88.
[2]- الأبيض، رجب نصير، مرجع سابق، ص: 110-111.
[3]- بن عريفة، مرجع سابق، ص ص: 239-241.

فكان أهل فزان يطلقون على حكام أولاد أمحمد سلاطين أو شرفاء وهو نوع من الاحترام والتبجيل لديه باعتبارهم من سلالة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ويحملوا سلاطين أولاد أمحمد ختمين رسميين الختم الأول يستخدم في ختم مرسلاتهم إلى ولاية طرابلس ويلقبون فيه بلقب الشيخ، أما الختم الثاني يستخدم في مراسلاتهم داخل فزان ويلقبون فيه بلقب السلطان[1].

أما بالنسبة للتقسيم الإداري فقد قسمت إلى فزان تسع مناطق إدارية تسمى(عمالات)وهي مرزق، سوكنة، غدامس، قطة(وادي الشاطي)، الوادي الشرقي(القلعة)، الوادي الغربي(تكرتيبا)، غات، القطرون، زويلة، وكان على كل منطقة عامل يسمى (قائد) أو عامل وهو مندوب السلطان في المنطقة ومهمته إدارة شؤونها وجمع الأعشار والضرائب وهو يعمل تحت رقابة السلطان الذي لديه مطلق السلطة فهو الذي يعينهم ويعزلهم[2].

والإدارة في عهد أولاد أمحمد كانت تسير على النمط الذي تدار به الدول الإسلامية الأخرى، فالسلطان يشرف على عقد الاتفاقيات وإقامة العلاقات الدبلوماسية مع الدول المجاورة[3].

كذلك اعتمدوا سلاطين أولاد أمحمد على أصحاب ثلاثة وظائف رئيسية يساعدون السلطان في أمور البلاد وإدارة دفتها السياسية والاقتصادية، وكانت هذه الوظائف تحمل ألقاب مستورده من برنو، فالوزير الأول كان يلقب (كلديمة)، والوزير الثاني يعرف (كيجومة)، والأمير الوارث للعرش يعرف (بريمة) فظهرت في أواخر عهد أولاد أمحمد وظائف قيادية مثل:

---

[1]- كروازه، غوتلوب أدولف، الدواخل الليبية، عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب، ط: الاولى1998م، ص: 43.

[2]- أيوب، محمد سليمان، مرجع سابق، ص: 106.

[3]- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص: 52.

1- القائد: ويتم أختيار القائد من قبل السلطان وهو من ابرز رجال الحكومة، ومهمة القائد الإدارة المدنية وتنفيذ المسائل القضائية لإحدى المناطق التابعة للسلطان.

2- المقدم: ينصبه السلطان لقيادة القوات المحلية الخاصة بحفظ الأمن، ويقوم باستخدام السلطة العسكرية في تنفيذ أوامر السلطان والقائد العام للجيش ، وجمع الضرائب من السكان.

3- الشيخ: فقد اعتمد أولاد أمحمد عليهم في استتباب الأمن وفض النزاعات بين القبائل، والشيخ هو عامل محلي لديه صلاحيات كبير للتحكم والتصرف في شؤون قبيلته أو قريته مع مراعاة تنفيذ أوامر السلطان[1].

أما في العهد القرمانلي ظلت نفس التقسيمات الإدارية التي كانت عليه في عهد أولاد أمحمد وفي عهد يوسف القره مانلي تغير الوضع الإداري في فزان بانتهاء حكم أسرة أولاد أمحمد الذي قضى عليهم نهائيا، وتوالى احد قواده الحكم وهو محمد المكني الذي سيطرة على الحكم بشكل مطلق وكان المكني جشع يتدخل في كل شي حيث خلق حالة من الرعب والقلق لدى السكان واستمد قوته من جنوده المسلحين هذا الأمر جعله يتصرف بحرية تامة، حيث اعتمد القره مانليين على السلطة العسكرية في الإدارة المدنية في البلاد، واستحدثوا بعض الوظائف الإدارية حيث ساعده بعض الموظفين في إدارة البلاد[2] مثل:

1- البك: وهو الحاكم للقوات العسكرية، وله مطلق السلطة والصلاحيات، ومن مهامه نشر النظام والأمن، وتحصيل الضرائب.

2- الخازندار: وهو وزير المالية ومهمته الإشراف على الشؤون المالية، وكذلك إرسال الرسائل الرسمية إلى الوالي في ولاية طرابلس.

---

[1] - الأبيض، رجب نصير، مرجع سابق، ص: 111.

[2] - الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص: 54.

3- الكيخيا: وهو مستشار خاص ومهمته تقديم المشورة للبك، والاهتمام بشؤون القلعة ورئاسة حرس البك، بالإضافة إلى تربية أبنائه وهو المسئول عن تعليمهم.

4- القائد: وهو الذي يحكم المناطق التابعة لمرزق والبك.

5- شيخ البلد: وهو الوسيط بين الأهالي والحكومة وهو الذي يتوالى شؤون الأهالي، ومهمته حفظ النظام داخل البلاد[1].

فاختلف الوضع الإداري ونظام الحكم لمدينة مرزق في بداية العهد العثماني الثاني فأصبح إقليم فزان إقليم مستقلا إلى حد كبير وعاصمته مرزق، فتكونت في مرزق قوة عسكرية نظامية، وتدفع لهم أجور منتظمة ويحمل أفرادها رتب عسكرية، بالإضافة إلى مساعدة أعيان البلاد في التنظيم وإدارة بعض الوظائف ووظيفة القاضي التي ظلت متوارثة في أسرة علواة لوقت طويل، وتقسيمات فزان إلى عشر مديريات إدارية جديدة وهي سمنو، سبها، الشاطئ، الوادي الغربي(الآجال)، وادي عتبة، الحفرة، الشرقية، زلة، القطرون، غدوة، وقد حدث تطور في النظام الإداري حيث أصبحت فزان تحت إدارة عثمانية مباشرة[2].

وعلى اثر تطبيق نظام الولايات أصبحت السلطة مركزية في مرزق حيث استبدل العنصر الوطني بالعنصر التركي وتمتد أيضا هذه السلطة للقضاء الذي كان يتم بالوراثة لأسرة واحدة، لأكثر من مئة وخمسين عام الأخيرة وللوصول إلى هذه الوظيفة يجب على الشخص أن يكون يعرف القراءة والكتابة لتولى هذا المنصب والوظائف الإدارية في العهد العثماني الثاني هي[3]:

1- **القائمقام:**هو أعلى منصب في الجهاز الإداري، وهو الذي يعين جميع مديري المديريات ولديه صلاحيات عديدة ومطلقة وهو المسئول عن الإدارة المدنية والمالية والأمنية في الحرب والسلم، فحددت صلاحيته بالقائمقامية العثمانية وأصبح يعين من الأستانة مباشرة.

---

[1]- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص: 55 .

[2] - الأبيض، رجب نصير، مرجع سابق، ص: 119.

[3]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 211.

2- **أغاسي:** وهو قائد عسكري وهو الشخص الثاني بعد القائمقام، ويملك تحت إمرته مايقارب 500جندي من المشاة وعدد من الخيالة والمدافع، فمعظم العساكر من أهالي فزان أما الضباط وضباط الصف فهم من العثمانيين.

3- **كاتب المال:** وهو مسؤول عن جميع الشؤون المالية داخل متصرفية فزان وهو المسئول عن جمع الضرائب.

4- **قواص باشا:** وهو رئيس الشرطة يتبع مباشرة أوامر القائمقام، ومهمته الحفظ على النظام والأمن داخل المدينة[1]، وانقسم جهاز الشرطة إلى قسمين الأول يقع في مدخل المدينة ومهمته مراقبة الناس وحفظ الأمن، والثاني يختص بالجوازات ومهمته مراقبة التجار الداخلين والخارجين من المدينة خاصة في الجهات المؤدية إلى بلاد السودان[2].

جميع هذه الوظائف يحتكرها الأتراك العثمانيين، أما أبناء البلاد كانوا يتولون وظائف بسيط مثل وظيفة شيخ البلاد، ومهمته جمع الأموال من السكان وتحقيق مهام الحكومة بأقل الخسائر[3].

وفي سنة 1864م صدر قرار بمقتضى قانون الولايات، حيث جرت تغيرات جذرية في النظام الإداري للبلاد بعد استقرار الأوضاع السياسية في ولاية طرابلس، أسهمت في إرساء دعائم الحكم المباشر وإدخال إصلاحات وتعديلات إدارية جديدة على ولاية فزان وتقسيمها إلى متصرفيات، وأصبحت فزان لواء مستقل[4].

وتم تقسيم لواء فزان إلى مركز المتصرفية وهي مرزق، والى عدة أقضية وهي: قضاء الشاطي، قضاء سوكنة، قضاء غات، قضاء تبستي، أما النواحي فهي تظم سبها، الوادي الغربي، القطرون، وادي الشاطئ، سمنو، الجفرة الشرقية، هون، زلة،

[1] - رولفس، مرجع سابق، ص: 283.
[2]- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص:58.
[3]- الشيخي، نفس المرجع والصفحة.
[4]- الشيخي، المرجع نفسه، ص: 58.

فلم تقتصر الإصلاحات على التقسيمات الإداري فقط إنما على الجهاز الإداري أيضا وتم استصلاح واستحداث أجهاز ووظائف إدارية جديدة وهذه الوظائف هي:

1- **المتصرف:** يأتي على رأس السلم الإداري وهو مسئول مباشر أمام الوالي عن تنفيذ القوانين والتعليمات الموجهة إليها، وهو مسئول أيضا عن القوات العسكرية، بالإضافة إلى انه يترأس اجتماعات مجلس الإدارة، ويعين المتصرف بموجب فرمان من السلطان العثماني في استانبول، وهو يتقاضى راتب شهري.

2- **مجلس الإدارة:** استحدث في سنة 1864م ويترأسه المتصرف، ويظم المجلس عدد من الشخصيات في عضويته مثل القاضي والمفتي ومدير المال، كاتب المجلس، كاتب التحريرات، اختص المجلس الإداري بتنظيم الأسواق والاهتمام بالأحوال المدنية والاقتصادية.

3- **مدير المال (المحاسب):** يعد المسئوول الأول عن كافة الشؤون المالية، في مرزق والمناطق الإدارية التابعة لها.

4- **مدير التحريرات:** وهو المشرف على قلم التحريرات التي يقوم موظفوه بتحرير المراسلات وعرضها عليه لتوقيعها، فهو المسؤول عن جميع المكاتبات والمراسلات في متصرفية فزان.

5- **مأمور أملاك المتصرفية ونفوسها:** وهو المسؤول عن إدارة النفوس والأملاك العامة، وهو المشرف على إصدار تذاكر المرور[1].

---

[1]- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص ص: 59- 63.

الفصل الثاني

(الجانب السياسي في مرزق)

المبحث الأول

صراع أولاد أمحمد مع الأتراك

بدأت علاقة أولاد أمحمد مع الأتراك في عهد السلطان المنتصر في سنة 1577م، حين راسلت زوجته جودة بنت شرومة بن أمحمد الفاسي التي كانت تسكن القصر الأحمر بسبها، الحاكم التركي بمدينة طرابلس لتطلب منهم القدوم لتملكهم فزان ووعدتهم بالعطاء الجزيل إن قدموا، وذلك بسبب غيرتها على زوجه لأنه كان لديه زوجه أخرى من مرزق وكان يفضلها أكثر منها، وكان قد أكثر مكوثه في مرزق ورزق منها بعدة أولاد أما بنت عمه جودة فلم يرزق منها سوى بنت، فلما رجع المنتصر إلى القصر الأحمر أغلقت زوجته أبواب القصر في وجهه، ومنعته من الدخول وأحسنت لحاشيتها فتقاتل الجانبين وحاصر المنتصر القلعة لمدة ثلاثة أيام فلما علم بقدوم الأتراك لفزان مات المنتصر كمدا وحسرة، فبعد وفاة المنتصر ندمت خودة على مراسلتها الأتراك، وزال ما في خاطرها من الغيرة والحسد فاستغل الأتراك هذه الفرصة لضم إقليم فزان إلى ولاية طرابلس فا جهزوا حملة للاستيلاء على فزان[1].

كانت خودة لاتريد أن توفي بوعودها للأتراك، وأرادت أن تحتفظ بولاية فزان لنفسها، ففكرت في حيلة تنقد بها نفسها وقصرها، فأغلقت أبواب القصر ووضعت حجارة على مشارف القصر وألبستها أقبية الرجال وعمائمهم حتى اعتقدوا العسكر أنهم جنود خودة فخافوا العسكر وانقطعت بهم الأرض، فاعتقدت إن هذه الحيلة سوف تحميها من زحف الأتراك، فلما علموا العسكر بهذه الحيلة هجموا على القصر فأسروها وعذبوها عذاباً شديد ثم احرقوها، فملكوا سبها وتوجهوا إلى مرزق ليستولوا عليها حيث أدركوا مدى أهمية هذا الفتح الذي سيفتح أمامهم الطريق إلى بلاد السودان للتحكم والسيطرة على طرق القوافل التجارية الصحراوية[2].

فكان اكبر أولاد المنتصر في مرزق وهو الناصر فلما علم بقدوم الأتراك فر الناصر وإخوته ومن تبعه من أعوانه بخزانته لأرض (كاشنه) لبلاد السودان، واستولى الأتراك على مرزق بدون أي مقاومة أو قتال يذكر وجعلوا فيها عاملاً

---

[1] - أيوب، محمد سليمان، مرجع السابق، ص: 107.

[2]- ابن غلبون، مصدر السابق، ص 176.

عليها منهم اسمه محمود ويقال لها (مامي) ومعه طائفة من الجند لإدارة شؤون البلاد، ورجعت الحملة إلى طرابلس وبهذا خضعت فزان رسمياً ولي أول مرة تحت حكم الأتراك وأصبح إقليم فزان تابع رسمياً إلى ولاية طرابلس الغرب[1].

لكن لم يستمر هذا الحكم طويلاً فلم يتحمل أهالي فزان السيطرة العثمانية فسرعان ما ثاروا على مامي التركي والحامية العثمانية سنة 1582م، وذلك بسبب سوء معاملتهم فقتلوه ومن معها فلم تفلت منهم سوى طائفة قليلة من أولاد علوان وهم الذين حملوا أنباء هذه الكارثة إلى والي طرابلس، فسارع أهل فزان بإرسال وفدا إلى "كاشنه" لمبايعة الناصر وطلبوا منه العودة واستلام الحكم فلبى طلبهم وتوالى الحكم حتى وفاته[2].

فبعد هذه الكارثة التي حلت بالعسكر التركي وأعوانه وعودة الناصر من بلاد السودان لم يسعى العثمانيون بشكل جاد للقضاء نهائيا على سلطان أولاد أمحمد بفزان، فاكتفوا بإرسال أربع حملات عسكرية للاستيلاء على فزان، فنتائج هذه الحملات كانت سلبية فلم يستطيع العثمانيون تحقيق مطامعهم في فزان واستقرت الأوضاع في حكم الناصر حتى وفاته سنة 1594م[3].

ففي سنة 1611م، أراد والي طرابلس سليمان داي إرغام أمير فزان المنصور على دفع الإتاوة فامتنع المنصور عن دفعها، فأرسل سليمان داي جيشه لفزان، فعندما علم المنصور بقدوم الأتراك جهز جيش مكونا من عشرة ألف مقاتل واستعد للقائهم بمكان يقال له "كنير"[4] فالتقي الجيشان في هذا الموقع وكانت هذه أول معركة تحدث بين الفاسيين والأتراك، فتقاتل الطرفان قتالاً شديدا فظهرت في هذه المعركة شجاعة وشهامة المنصور فتغلب في البداية على جيش سليمان فجرح جروح وخيمة وكسر المنصور بعد هذه الانتصارات، فأيقن المنصور عدم سلامته

---

[1] - فيرو، شارل، مرجع السابق، ص: 157-158.
[2]-الأنصاري، احمد بك، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني طرابلس – ليبيا، ص: 218 .
[3]- الأبيض، رجب نصير، مرجع سابق، ص: 88.
[4] - "كنير" ارض شمالي فزان بين العبيد والرملة على مسيرة يوم من قرية الزيغن، الأنصاري، المصدر السابق، ص: 227.

فبعث رسولا إلى أخيه الطاهر ليفر بالحريم والخزانة إلى بلاد السودان التي أصبحت الملجئ لأولاد أمحمد، ففر الطاهر إلى بلاد السودان، فمات المنصور من شدة جروحه وانهزم جيشه واستولوا الأتراك على سلاحهم وأمتعتهم فبعد انتهاء المعركة توجه الأتراك إلى مرزق واستولوا عليها للمرة الثانية ونصبوا عليها عامل تركي يدعى حسين النعال فلم يستمر حكمه سوى سنتين حتى ثار أهل فزان عليه في سنة 1613م، فقتلوه هو وجميع أعوانه[1].

فسارع أهل فزان بإرسال وفدا إلى السودان لمبايعة الطاهر اخو المنصور ليتولى حكم البلاد ويرث العرش ، فلبى طلبهم وحكم بعدل حتى سنة 1631م[2].

ففي سنة 1631م زاد الطاهر في الخرج وطغي وتجبر على الخرمان فأرهقت الضرائب سكان وادي الآجال، وامتنع الطاهر عن دفع العوائد التي طالبه رمضان أغا وصهره منه، فأرسلا الخرمان وفدا إلى والى طرابلس للشكوى من الطاهر وسوا حكمه وظلمه لهم فلا سمع الطاهر بذهاب هذا الوفد إلى والي طرابلس سارع في إرسال مرابطي سوكنه حاملين إليهم مسبحتهم كرمز على نيته في الصلح، فتجاهل الخرمان هذا الوفد وواصلوا طريقهم إلى طرابلس حيث استقبلهم رمضان أغا على عجلة وسارع رمضان أغا بإرسال جيشه معهم إلى فزان بقيادة صهره محمد الساقزلي[3].

فلما علم الطاهر بالجيش القادم لموجهته فكر في أن يتوجه إلى بر أبي نوح ((برنو))، الذي كان يحكمه عمر المقدسي، الذي كان يكره الطاهر بسبب أفعاله الوحشية فقد قام الطاهر بي فقع عيون أبناء أخيه المنتصر ومحمد المنصور ورثة الحكم الشرعيين، فأثارت هذه الفعلة الشنعاء حفيظة الأمير عمر المقدسي، وكان المقدسي يريد التوجه إليه على رأس جيشه لمعاقبته على فعلته، فاخبره بعض منجميه بأنه سوف يأتي الطاهر إليه في أرضه في يوم من الأيام ليتلقي عقابه،

---

[1]- ابن غلبون، مصدر سابق،ص: 179.

[2] - الأنصاري، احمد بك، مصدر سابق ،ص: 228.

[3]- فيرو، شارل، مرجع سابق، ص: 147.

وعندما فر الطاهر وأعوانه من مرزق كان معه اثنا عشر جملاً محملا بالذهب، فعندما وصلوا إلى بلد المرأة ومن هنا يفترق الطريق بين بلاد السودان وبرنو، فأراد أعوانه التوجه لأرض السودان لكنه الطاهر أصرّ على أن يذهب إلى برنو، وعلى الرغم من نصائح أعوانه وإلحاحهم عليه بعدم الذهاب إلى برنو إلا انه لم يستمع إليهم فافترقوا من هناك وذهب الطاهر إلى برنو وكان معه اثنا عشر جملاً محملا بالذهب، وعندما وصل الطاهر إلى برنو أمر المقدسي جنوده بالقبض عليهم ووضعهم في غرائر ورميهم في بحيرة تشاد بذلك انتهاء حكم الطاهر وظلمه[1].

فاستولى العسكر على فزان ونصبوا احمد بن هويدي الخرماني حاكما لفزان وتركوا معها طائفة من الجند لحراسة البلاد وضبط خرجها واستمر حكم الهويدي إلى أن ثار أهل فزان عليه سنة 1633م، وأرسل الأهالي وفدا إلى كاشنه ليستدعوا محمد بن جهيم ابن أخ الطاهر لينصبوه عليهم[2].

فعندما سمع الخرمان بذلك جهزوا جيشهم للقائه في بلدة حميرة الواقعة بين زويلة وتراغن، فاستطع محمد بن جهيم هزيمة الجيش الخرماني ففروا إلى مرزق فلحق بهم بن جهيم وحاصرهم حصاراً شديداً حتى نفد طعامهم المتواجد داخل السور وعلى الرغم من الحصار الشديد الذي ضربه محمد بن جهيم على مرزق إلا إن أحمد بن هويدي استطاع مراسلة الأتراك ليطلب من محمد باشا الساقزلي المساعدة فأرسل جنده إلى مرزق بقيادة ((عثمان بأي))، فلم يكن محمد بن جهيم لديه علم بقدوم هذه الحملة إلى أن وصلت إلى فزان وعندما علم فك الحصار على مدينة مرزق وفر أمامهم متنقلاً في ارض فزان وتقاتلوا قليلاً وحاصرهم عثمان بأي، فسرعان ما اجتمع مرابطي فزان من كل قطر ليصلحوا بينهم فكان السيد على الحضيري وأخوه حامد الحضيري وهما من أهم الشخصيات والأكثر تأثيراُ في

---

[1] - كروازه، غوتلوب أدولف، الدواخل الليبية، تر: د. عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط: الاولي1998م، ص: 40.

[2] - فيرو، شارل،مرجع سابق، ص: 148.

فزان، فحرروا وثيقة صلح بين محمد بن جهيم والأتراك فنصت هذه الوثيقة على الأتي :

1- مغادرة الأتراك من أرض فزان.

2- أن يكون محمد بن جهيم حاكم فزان.

3- أن يدفع السلطان محمد بن جهيم إتاوة قدرها أربعة ألاف مثقال من الذهب كل سنة لوالي طرابلس، ألفان منها ((تبرا)) وألفان تصرف قيمتها عبيداً وإيماء، وحدد ثمن العبد الذكر (25) مثقالاً، وثمن الأمة (30) مثقالاً، وثمن ألخصي (80) مثقالاً، ويجب عليهم تحمل كافة نفقاتهم إلى أن يصلوا إلى سوكنه بالإضافة إلى نفقة أخرى للعسكر تقدر بحوالي (50) مثقالاً من الذهب، فوافق محمد الساقزلي على هذه الشروط وأمر جنوده بالعودة إلى طرابلس بعد أن كلف أهالي فزان بدفع كامل نفقات الجيش ليتمكن الجيش من العودة، فاتخذت هذه الشروط المدله الصفة القانونية لفترة طويلة واستقرت الأوضاع في فزان[1].

وفي سنة 1682م أمتنع النجيب بن جهيم عن أداء الخراج إلى والي طرابلس، حيث رأى النجيب إنها فرصة مناسبة للامتناع عن دفع الخراج في ظل الأحداث والصراعات القائمة في البلاد، فأرسل والي طرابلس إليه حملة عسكرية بقيادة مراد بك المالطي الذي ادعى انه ذاهب إلى بنغازي بهذه الحملة فعندما وصل إلى منطقة الجديد الواقعة في منطقة سرت غير وجهته وسار في الطريق المؤدي إلى سوكنه فاحتل سوكنه و ودان، فعندما وصل إلى سبها عاث في أهلها تقتيلاً فلم يتمكن من الفرار سوى شخص واحد فانطلق بسرعة إلى النجيب في مرزق ليعلمه بهذه الأحداث السيئة، فجمع النجيب جنوده وخرج على رأسهم لملقاة مراد بك فالتقى الجيشان بقرية "دليم" وتقاتلوا قتالاً شديداً فانتصر مراد على النجيب ودخل مرزق منتصراً فاستولي على خزانة مرزق التي وجد بها مايقارب حمولة خمسة عشر جملاً من الذهب، وسمح لجيشه بنهب البلاد و تخريبه وكذلك اسروا فيها العديد من

---

[1]- الحسناوي، حبيب وداعة، مرجع سابق، ص: 64-68.

الزنوج مابين ذكور وإناث، فبعد سبع أيام عين مراد بيك محمد الناصر بن جهيم عامل على فزان، فمكث مراد في مرزق واحد وعشرين يوم وتوجه إلى طرابلس بجيشه بعد أن اشبع جشعه وعطشه بما فيه الكفاية، فقرار الحاكم الجديد إعفاء أهاليها من دفع الخرج لمدة ثلاثة سنوات حتى تتحسن أوضاعه[1].

فظلت الأوضاع هادئة في فزان حتى سنة 1690م حيث امتنع الناصر عن دفع الخرج وعجب من كثرة عربه وقومه، فأرسلا والي طرابلس محمد شايب العين جيشه بقيادة وزيره يوسف بك إلى والي فزان فخرج الناصر لموجهة يوسف خارج المدينة فتقاتلا قتالا شديداً فا في بادي الأمر هزم يوسف الناصر وفي اليوم التالي هزم الناصر يوسف وفي اليوم التالي تكافأ الجيشين، الأمر الذي أذي بيوسف وأعوانه إلى الخداع والمكر ليتغلب على عدوه فكانا جيشه يضم شخصيتان يتمتعان بنفوذ كبير وهما المسئولان عن قدوم هذه الحملة وهما علي ومحمد الغزيل فخشي أولاد المكني من فشل هذه الحملة فراسلوا خفية إخوة الناصر وأبناء إخوته واعدين كل واحد منهم بالمُلك مع مراعاة إلا يعلم أي منهم بما أرسل إلى الأخر فطلبوا منهم الحضور إلى المعسكر فاضطر الناصر ووزيره المسعودي إلى الخضوع وطلب الأمان من يوسف بيك، فحضر الناصر لمعسكر الأتراك بعد إن منحه يوسف بيك الأمان لكنه خان عهد الأمان على نفسه واعتقلهما، ثم دخل إلى مرزق واستولى على خزانتها وعذب أهلها ونهب أموال التجار وجعلها فريسة للنهب والسلب[2].

فأمر يوسف بيك رجل يدعى مصطفى البسكري"أبي خشيم" بتعذيب الناس فكان هذا الرجل شديد العداوة مع المسلمين، ومع التجار الذين يملكون المال والجمال ومن هؤلاء التجار تجار برنو، فلما رأى ذلك التاجر ما حل بالناس من العذاب سأل أحد المكبلين بالقيود بجانبه قائلا: **"هؤلاء الخلق نراهم يفعلون هذا، أهم من أهل الدنيا أم هم من أهل الآخرة؟"**، فزجره عن ذلك خشيت أن يسمعه احد من الأتراك الذين يتقنون العربية ويزيدون في تعذيبهم فسمعه المكلف بتعذيبهم فسال

---

[1]- فيرو، شارل، مرجع سابق، ص: 194.
[2]- ابن غلبون، مصدر سابق، ص 225.

الذي حدثه التاجر فأبى أن يخبره لخوفه من التعذيب، فتوعد بالعذاب إن لم يخبره، فاخبره أن التاجر سأله عن القيامة قائلا: **"إني لم أسمع بهذا العذاب إلا من زبانية جهنم، أهؤلاء هم الزبانية ونحن متنا ونشرنا؟ أم الزبانية تأتي الخلق قبل موتهم"،** فلم سمع المكلف بذلك رفع عنهم العذاب وراجع يوسف بيك هذا ما كان سبب في نجاتهم وإطلاق سراحهم، وعين محمد المكني عاملا عليها ونقل الناصر إلى طرابلس وسجن بها[1].

فلم تمضي خمسة أشهر من توالي محمد المكني البلاد حتى ثار أهل البلاد وحاصروه في القلعة ثلاثة أيام فطلب أصحابه الأمان فامنوا وفتحت القلعة ودخلها أهل البلاد ووجدوا المكني لازال على قيد الحياة فربطوه بالحبل وأخرجوه من القلعة، فكان المكني في زمن ولايته قد قطع يد رجل من أهل البلاد فاحضروه أهل البلاد ليأخذ بثأره منه فأمروه بقطع يده فمات وانتهت فترة حكمه[2]، فلم يكن في البلاد أي ذكر من سلالة أولاد أمحمد فتولت الحكم فاطمة بنت محمد بن جهيم إلى حين وصول خالها تمام من بلاد السودان[3].

فسارع أهل فزان في نفس الوقت بمراسلة تمام بن محمد ومحمد بن جهيم بأرض السودان، لمبايعة تمام ليستلم حكم البلاد، وكذلك راسل أهل فزان والي طرابلس محمد شايب العين للالتزام بالخرج والطاعة ويصفح عن ما بدر منهم في حق رجل لا رحمة في قلبه كمحمد المكني، فأرسل وإلى طرابلس علي المكني على رأس عسكره ليأخذ بثأره من أولاد أمحمد واستعان كذلك بأهل بني وليد وألبسهم ثياب تجار ليخفي حقيقة قدومه إلى فزان، فعندما وصلوا إلى مشارف فزان، علم محمد بن جهيم حقيقة قدومهم إلى ارض فزان فخرج هو وكبار جنوده إلى السودان فطلبوا من تمام الخروج معهم لكنه رفض ذلك وخرج للقائهم واحده بكل ثقة معتقد إنهم قادمون من اجل خلع عليه القفطان الفخري رمز توليه حكم فزان رسميا أو

---

[1]- فيرو، شارل، مرجع سابق، ص226.
[2]- ابن غلبون، المصدر السابق، ص227.
[3]- كروازه، غوتلوب أدولف، مرجع سابق، ص60.

للمطالبة بالخرج فلما رأى ذلك علي المكني سقط في يديه فدخلوا مرزق وبقوا فيه سنة كاملة وتمام لا يملك أي سلطة في البلاد[1].

فرجع محمد بن جهيم من السودان الذي كان أكثر تحديا حيث عاد على رأس جيش لطرد المكني، فلما بلغ وادي الخرمان بيعوه على قتال علي المكني وأخوه، فكان علي المكني خارج للإغارة فنزلوا قرب قلعة بالوادي ليستريحوا وينامو، فا هاجمهم محمد بن جهيم وأصحابه فقاتلوهم فلم يفلت منهم سوى علي المكني وطائفة قليلة من أتباعه فاستولوا على سلاحهم، فلحق بهم حتى دخلوا مرزق فهاجموا المدينة ليلا واخرجوا تمام وحاصروا بيت علي المكني إلى أن طلب الأمان، فأعطوه الأمان بشرط أن يرجع كل ما أخذه من خزانة الناصر فرجع المال الذي أخذه منهما، فخرجوا أولاد المكني من مرزق وتوجهوا إلى سبها فقام إليهم جبر الفلفاط وحاصرهم واشتد القتال بينهم فقتل محمد المصري وعندما سمع يوسف بهذه الحادثة أرسل إليهم خمسمائة فارس، عندما وصل الخبر إلى طرابلس فأطلق سراح الناصر وكساه الوالي وأعطاه ولاية فزان واستمر في دفع الخرج إلى سنة 1715م[2].

---

[1]- الأنصاري، احمد بك، مصدر سابق، ص269.

[2]- الحسناوي، حبيب وداعة، مرجع سابق، ص80.

المبحث الثاني

العلاقات بين الفاسيين والقره مانليين

كانت فزان تعد مصدر من مصادر ثروة طرابلس لحجم الدخل التي تدره تجارة القوافل حيث كانت هي حلقة الوصل للقوافل الصحراوية العابرة والتجار، فعندما وصل القرمانليين إلى الحكم في طرابلس ألزموا الفاسيين على موصلة دفع الخراج بالقوة، فكان سلاطين أولاد أمحمد ينفذون الشروط المفروضة عليهم من الحكومة المركزية بطرابلس حيث تميز العهد القرمانليين بالاهتمام بأسباب القوة حتى فرضت سيادته وسلطانه على فزان والإطاحة بالفاسيين[1].

ففي سنة 1716م، أراد الناصر الانعتاق من التبعية إلى ولاية طرابلس، امتناع عن دفع الخرج بسبب الأحداث التي جرت في سرت فرأى أنه حان الوقت للاستقلال، فتوجه إليه احمد القرمانلي في حملة يترأسها بنفسه لإخضاع فزان وسلطانه الناصر تحت لوائه، فدخل احمد بجيشه إلى مرزق وحاصرها وفي اليوم التالي، اضطر الناصر إلى الاستسلام فسارع الناصر بإرسال المرابطين وكبار البلاد ليطلب منه العفو عن دفع الخرج بسبب عجزه عن الدفع، فتساهل أحمد معه وصفح عنه بسبب الأحداث القائمة في البلاد[2].

بعد وفاة الناصر تولى ابنه احمد الناصر عرش البلاد سنة 1718م، فتمرد وأعلن عدم دفع الإتاوة التي فرضها احمد القرمانلي، فبعث إليه احمد القرمانلي حملة في سنة 1719م، بقيادة ابنه محمد بيك الذي دخلها ووزع جنوده على معظم مناطق فزان حيث قام بتدمير المناطق المأهولة بالسكان، تم توجه إلى مرزق وضرب عليها حصار شديد فلم يكن بإمكان احمد الناصر التصدي لهذه الجيوش، فاضطر إلى الاستسلام والخضوع لمطالب محمد بيك بعد أن عفا عنه بشرط أن يقوم بدفع نفقت الحملة والخرج وعاد إلى طرابلس[3].

وفي سنة 1725م، وصف القنصل الفرنسي مارتن أهمية هذه التجارة بالنسبة لسكان طرابلس فقال: "إن هذا الشعب بائس، لحد انه لولا تجارة العبيد الذين يأتون

1- عبد الصمد، مرجع سابق، ص: 74.

2- فيرو، مرجع سابق، ص: 397.

3- محجوب، حسن عبدالله علي، سهل بن عمران وقدومه فزان، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط الاولي2012م، ص: 29.

بهم من فزان، وينقلونهم إلى المشرق على سفننا،لاضطروا لترك هذه البلاد، فليست لديهم أي تجارة أخرى،ومن ثلاث سنوات لم يجنوا أي محاصيل تقريبا"، هذا الأمر يدل على إن القرمانليين كانوا يعتمدون وبشكل كبير في اقتصادهم على تجارة الرقيق في فزان. [1]

واصدر احمد القرمانلي قرارا لاستئناف الحرب في مرزق بسبب الثورات والانقلابات المتكررة للانتقام منهم فاضطر محمد بك العودة إلى فزان معززا بقوات إضافية من الفرسان والمشاة، بسبب والده الذي حذره من العودة إذ لم يصطحب معه احمد الناصر أسيرا، فراء احمد الناصر انه لا جدوى من مواصلة المقاومة ضدهم فسلم نفسه هو وابنه إلى محمد بك فاقتادهما إلى طرابلس، فكان احمد القرمانلي يرغب في الحكم عليهم بالإعدام، غير إن ابنه أقنعه بتخفيف العقوبة عليهما، فدعا احمد القرمانلي ديوانه للانعقاد فقام بعرض احمد وابنه للبيع بالمزاد العلني فاشتراهما ابنه بثمن زهيد قطعتين من النحاس وتعادل عشرة سنتيمات بالعملة الفرنسية[2].

بعد هذه الإهانة التي تعرض لها أحمد الناصر اعتقه أحمد القرمانلي ونصبه بك على فزان وأعاد إليه جميع سلطاته السابقة، وعاد الناصر إلى مرزق ويحيط به جيش جرار بقيادة رجب بن الحاج أحمد بيرى الذي قدم إلى مرزق ليهدم أسوارها، فلم يتم بناء السور الا بعد مرور وقت طويل على وفاة احمد القرمانلي عندما طلب أحمد الناصر الإذن من محمد القرمانلي لبناء السور من جديد في سنة 1754م[3].

فاستقرت الأوضاع في فزان نوعا ما واستمر سلاطين مرزق في دفع الخرج وتنفيذ الشروط المفروضة عليهم من القرمانليين، فشهدت البلاد في هذه الفترة حالة من الاستقرار السياسي والاقتصادي، وازدهرت حركة التجارة بشكل كبير، واستمر أولاد أمحمد في حكم البلاد بشكل منتظم إلى أن اعتلى العرش محمد الناصر الذي رفض دفع الخرج، فأرسل يوسف باشا حملة كبيرة إلى فزان سنة 1813مبقيادة

---

[1]- زليتنر، جان كلود، مرجع سابق، ص: 318.

[2]- فيرو، مرجع سابق، ص: 430.

[3]- كورو، فرنشسكو، مرجع سابق، ص47.

محمد المكني (بك النوبة)على رأس جيش كبير قادم من طرابلس وبسرعة فائقة وصلت الحملة إلى مرزق وقضى المكني على جميع سلاطين أولاد أمحمد وقطع رؤوس 200 شخص من هذه الأسرة لتثبيت دعائم حكمهم بذلك انتهى حكم هذه الأسرة، فلم ينج من هذه المذبحة سوء طفل واحد اسمه محمد باسيركي عن طريق مربيته التي هربت به إلى منطقة التبو، فلم يتركه العثمانيين إلا لأنهم يعلموا انه لا يشكل خطر عليهم فهو ثملا ويتعاطى الأفيون[1].

فقد أدرك يوسف أن فزان وما وراءه هو المجال الحيوي لتوسيع دائرة نفوذه السياسي والاقتصادي فأهتم بتوطيد علاقاته مع إقليم برنو، فاستطاع يوسف القرمانلي فرض سيطرته على فزان، لكن لم تستتب الأوضاع للقرمانليين في فزان بأسرها، بسبب الثورات والصراعات القائمة من أولاد سليمان ضدهم فاعتمد القرمانليين على السلطة العسكرية في إدارتهم للبلاد واحتكارهم للتجارة والسيطرة على المداخل وإثقال كاهل التجار بالضرائب والغرامات المالية خصوصا بعد فقدهم للموارد البحرية[2].

فقام عبد الجليل سيف النصر بإعلان خروجه عن سلطة يوسف باشا سنة 1831م، بعدما زادت ثقل الضرائب على قبائل أولاد سليمان فاستطاع عبد الجليل أن يكون قاعدة كبيرة من المؤيدين بعد الحملة التي قام بها على إقليم برنو وازداد نفوذ هذه القبيلة، فتكاثفت حملات يوسف باشا على فزان تحث قيادة أبنائه علي وإبراهيم والقائد محمد المكني، لكن جيش يوسف باشا القره مانلي لم يستطيع القضاء على عبد الجليل وثورته بسبب ثورة أهل المنشية في طرابلس وانشغالهم بها، لذلك انتشرت الاضطرابات الداخلية مما أدى إلى الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة القره مانلية وانقطاع الطرق وكثرة عمليات النهب والسلب نتيجة للانفلات الأمني، فانتهزوا أولاد سليمان الفرصة واستعادوا نفوذهم من جديد على فزان[3]

.

[1]- رولفس، مرجع سابق، ص: 284.
[2]- الأبيض، مرجع سابق، ص: 112.
[3]- الأبيض، المرجع السابق، ص: 104.

المبحث الثالث

الصراع التركي الفرنسي على الصحراء

وفي ظل الصراعات والاضطرابات السياسية والاقتصادية التي تمر بها ولاية طرابلس تدخل الباب العالي وأعاد السلطة العثمانية المباشرة إلى طرابلس وانتهاء بذلك العهد القره مانلي، وانفرد عبد الجليل سيف النصر في ظل هذه الصراعات والاضطرابات بحكم المنطقة الممتدة من سواحل سرت إلى أقصى جنوب فزان، ففكر حسن باشا بالتفاوض مع عبد الجليل سيف النصر من أجل الاعتراف الرسمي بعبد الجليل كأمير لفزان مقابل أن يدفع عبد الجليل ضريبة سنوية لخزانة طرابلس مقدارها خمسة وعشرين ألف قرش، لكن هذه المفوضات لم تستمر بسبب الأوضاع المالية لوالي طرابلس، وفي عهد علي عشقر عرض على عبد الجليل سيف النصر الخضوع للسلطان مقابل أن يبقى عبد الجليل واليا على فزان[1].

خشى الوالي علي عشقر من ازدياد نفوذ أولاد سليمان واحتمال استعادة ما فقدوه من مناطق ساحلية حيث أصبحوا يشكلون خطر على تجارة القوافل القادمة من برنو، فظل علي عشقر يدبر مؤامرة سرية تهدف للقضاء على عبد الجليل وثورته، فتدخل القنصل الانجليزي (وارنجتون) للتوسط وحل الخلاف بين علي عشقر وعبد الجليل فاستدعاء عبد الجليل وتعهد له بالعون والاعتراف بسيادته على فزان مقابل التوقف عن ممارسة تجارة الرقيق، وعندما غادر الاجتماع فوجئ عبد الجليل بقوة عسكرية تحاصر المنطقة الواقعة بين سرت وأبي نجيم بقيادة حسن البلعزي، فقتل عبد الجليل وأخوه سيف في هذه المعركة التي عرفت بمعركة وادي زمزم ونقلوا الجنود رأسه إلى والي طرابلس فكانت نهاية عبد الجليل وانتصار للأتراك حيث زاد نفوذهم وسلطانهم واستطاعوا الاستيلاء على مرزق[2].

وفي العهد العثماني الثاني تغير النظام الإداري جذريا في كافة الأقاليم الليبية فأصبحت فزان سنجقية قائمة بذاتها وعاصمتها مرزق، ويحكمه قائمقام يعين بفرمان سلطاني من الأستانة ويخضع لنفوذ وسيطرة الباشا في طرابلس، وقد منح متصرف فزان مطلق الصلاحيات في إدارة شؤون البلاد السياسية والعسكرية في السلم

[1]- فيرو، شارل، مرجع سابق، ص ص: 453 – 458.
[2]- روسي، إتوري، مرجع سابق، ص: 431.

والحرب، فأصبحت مرزق منطقة عسكرية حصينة وأقاموا العثمانيين أكثر من نقطة عسكرية على الحدود الجنوبية لفزان مثل: بيلما وجنوب تيبستي، لحماية الطرق التجارية والقوافل العابرة وكذلك لمراقبة تقدم الدول الكبرى التي أصبحت تشكل الخطر الأكبر بسبب زحفها على الأراضي الافريقية وتكوين مستعمرات لها في هذه القارة للاستيلاء على التجارة واحتكارها[1].

منذ أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، استهوى النشاط والازدهار التجاري الواسع بالصحراء الكبرى، عزم الفرنسيين على غزوها والتغلغل فيه في ظل الضعف العثماني وتكالب الدول الأوروبية على استعمار الدول وإنشاء المستعمرات وفتح أسواق القارة للتجارة واستغلال مواردها الطبيعية والبشرية فعلاقة فرنسا بليبيا علاقة تجارية حديثة فازدهرت القوة الفرنسية في القرن التاسع عشر ميلادي، بعد أن احتلوا الجزائر وبعض المناطق غرب القارة الإفريقية[2].

فوقعت أنظار فرنسا على الصحراء الليبية واحتلت بسكرة وتوجورت واورقلة على التوالي التي تقع ضمن أملاك الدولة العثمانية[3]، فكانت الدولة العثمانية ترفض التوسع الفرنسي على حساب ممتلكاته في الصحراء حيث يدخل هذا التوسع في إطار السياسة الاستعمارية الفرنسية، فكانت تسعى فرنسا وبشتى الطرق لتوطيد أركان الإمبراطورية الفرنسية في شمال أفريقيا لتسهيل عملية نقل الجيوش الفرنسية وربط مستعمراتها الإفريقية من الشرق إلى الغرب لتسيطر على التجارة في الشمال الأفريقي[4].

فضعف الحكومة العثمانية والمشكلات التي تواجه والي طرابلس وتقلص نفوذه وعدم إحكام سيطرتها على الدواخل جعل السلطات الفرنسية تتمادى في سياستها

---

[1]- الأبيض، رجب نصير، مرجع سابق، ص: 113.
[2]- الريان، محمد رجائي، دراسات في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، حمادة للنشر والتوزيع – الأردن، ص208.
[3]- الفيتورى، عطية مخزوم، فرنسا ومشكلة الحدود الليبية، مجلة البحوث التاريخية العدد الثاني، يوليو1989م، ص162.
[4]- الفيتورى، المرجع السابق، ص: 162.

التوسعية، فكانت فرنسا حريصة على أن تكون متواجدة وبقوة في الصحراء الكبرى، فسعت عن طريق حاكمها في الجزائر إلى إقامة علاقات ودية مع زعماء قبيلة الطوارق وذلك لان هذه القبيلة تسيطر على النقاط الرئيسية التي تربط غدامس بغات، من أجل السيطرة على تجارة الصحراء وطرق القوافل التجارية الصحراوية حيث تمكنت فرنسا من عقد معاهدة في سنة 1862م، مع زعيم الازرقيين زعيم قبيلة الطوارق من اجل تقديم تسهيلات من جانب فرنسا للطوارق في حرية الحركة داخل أسواق الجزائر مقابل الحفاظ على سلامة التجار الفرنسيين والجزائريين عند عبورهم لبلاد السودان، فكان العثمانيين يحرصون على عدم إثارة المشاكل مع فرنسا حيث رأت الحكومة العثمانية إن إرسال أي قوة ستفسره فرنسا بأنه توسع عثماني تجاه الجزائر فقد شجع موقف الإدارة العثمانية فرنسا على توطيد علاقتها مع الزعماء المحليين[1].

على الرغم من المحاولات والجهود الفرنسية لبسط نفوذها وسيطرتها على الصحراء إلا أن محاولاتها بات بالفشل، فلم تنفذ المعاهدة بين الفرنسيين وزعيم الازرقيين بسبب الانتفاضات والثورات التي أدت إلى دخول غات تحت الحكم العثماني1875م().

فتكالبت الدول الأوروبية للسيطرة على الدول الإفريقية فكانت فرنسا حريصة على عدم تدخل أي قوة أوروبية في ممتلكاتها في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى وإمبراطوريتها في النيجر خصوصا إن بريطانيا ادعت إن جزء من أفريقيا الغربية تابع لمستعمراته، فسعت فرنسا لعقد عدة معاهدات بينها وبين بريطانيا ما بين السنوات 1890-1898-1899م، لضمان وجودها في الصحراء الكبرى وكذلك لرسم حدوده السياسية وتقسيم المستعمرات الإفريقية بين الدولتين دون مراعاة

[1]- الفيتورى،عطية مخزوم، مرجع سابق، ص ص: 163- 164.

التجمعات السكانية، حيث اعترفت بريطانيا بالنفوذ الفرنسي في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى[1].

فبدأت فرنسا بتطبيق وتنفيذ ما جاء في هذه المعاهدة فاستولت على غدامس وغات للمرور عبر الصحراء فهذه المناطق تعتبر البوابة الرئيسية للتوغل في الصحراء الكبرى، فكانت الدولة العثمانية تشعر بخطر هذا التوغل الذي سوف يحد من نفوذه في فزان وتشاد فهما كتلة جغرافية واحدة تابعة للحكم العثماني، فطالب الباب العالي فرنسا في نوفمبر 1890م، للتنازل عن منطقة جانت، فوجهة فرنسا أنظارها ناحية الغرب لتحقيق هدفها عن طريق الصحراء الكبرى من ناحية الغرب، فوجدت مقاومة عنيفة من القبائل الوطنية والممالك الإسلامية في غرب إفريقيا، لكن فرنسا نجحت في التقدم والسيطرة على سيجو وجني وتمبكتو بعيدا عن موجهات هذه القوى، فهذا التقدم أدى إلى اصطدام القوة الفرنسية والبريطانية فتم تعديل معاهدة 1890م، لكي تتمكن فرنسا من توحيد مستعمرتها الفرنسية الأفريقية من الشمال إلى الغرب، ولم تتوقف فرنسا عند هذا الحد بل زادت أطماعها للسيطرة على الصحراء الكبرى لتحقيق نفوذه السياسي وإنشاء إمبراطورية فرنسية عظمى، فكانت هذه الأطماع ترتبط بتفاهم فرنسا وبريطانيا على المناطق التي تريد كل دولة الاستيلاء عليه حيث كانت بريطانيا تريد السودان ومنابع النيل، بينما كانت فرنسا تريد الحصول على تشاد وتيبستي لتوحيد وارتباط ممتلكاته الأفريقية الفرنسية وتأمين حدودها[2].

احتجت الحكومة التركية على الاتفاق الفرنسي والبريطاني في عدة نقاط قدمتها إلى الحكومتين وهي مطالبتها بحقوقها في الهنترلاند الليبي والأراضي المدارة مباشرة عن طريق حكومة طرابلس مثل غات وغدامس ومرزق والقطرون والاجيرسى وجميع الأرضي الواقعة في الجنوب حتى الكاميرون وتشاد بالإضافة

---

[1] - الريان، محمد رجائي، مرجع سابق، ص: 210.

[2]- المرجع السابق، ص ص: 212-213.

إلى إصرار الحكومة العثمانية على ضرورة بقاء طريق القوافل الصحراوية الذي يربط مرزق بأقادين تحت إدارته وسيطرته[1].

لكن الدول الأوروبية لم تعير أي اهتمام لهذه الاحتجاجات والمطالب التي اعتبروها مجرد إدعاءات، واستمر الفرنسيين في تسوية أوضاعهم وتنفيذ مخططاتهم الاستعمارية فاستولوا على كانم التي تعتبرها الحكومة العثمانية امتداد للجنوب الليبي، فزاد هذا التقدم من قلق الحكومة العثمانية فقامت بإرسال مذكرة مطولة إلى حكومة فرنسا 1902م، تثبت فيه حقوق الدولة العثمانية في فزان وما يحيط بها من الصحراء في جنوبها، ولإثبات وجودها العسكري قامت الدولة العثمانية بتشكيل الخط الدفاعي الأمامي ضد التواجد الفرنسي في الصحراء، فقامت بتكليف متصرف فزان بإرسال الجنود إلى بيلما بالإضافة إلى غات التي جعلتها متصرفية قائمة بدأته[2].

ولكن الدولة العثمانية أوقفت تحركاتها العسكرية لتجنب الاشتباك مع القوات الفرنسية فهي لم تكن جادة لإيقاف التحركات الفرنسية في الصحراء التي كانت تسعى للسيطرة على تجارتها الصحراوية، لأن اقتصاد فزان كان مرتبط أساسا بالصحراء الكبرى[3].

في سنة 1906م، قررت كل من فرنسا والدولة العثمانية إتباع سياسة الوضع الراهن في منطقة جانت[4]، حيث تم عقد معاهدة بين فرنسا وتركيا لخلق منطقة محايدة في جانيت من أجل وضع حد للتغلغل التركي والفرنسي، حيث تعهدت تركيا بان لا تقوم بأي محاولة لاحتلال منطقة جانت، وكذلك لا تتقدم بعد غدامس وغات، وفي المقابل تعهدت فرنسا بألا تقوم بأي تتقدم نحو الشرق، لكن فرنسا احتجت على دخول بعض الأفراد من القوات العثمانية التي تقوم بحراسة قافلة تجارية للمنطقة

1- الفيتورى، عطية مخزوم، مرجع سابق، ص: 167.
2- الريان، محمد رجائي، المرجع السابق، ص:217.
3- المرجع نفسه، ص: 218.
4- م.ن، ص: 219.

المحايدة حيث اعتبرت فرنسا ذلك تدخل عثمانيا في منطقة نفوذها، ففي سنة 1909م تم إنزال العلم التركي من جانت، وتكررت الاصطدامات بين الفرنسيين والأتراك حيث اتضح إن خلق المنطقة المحايدة كان وسيلة سيئة حيث خلقت من جانيت ملجأ لقطاع الطرق[1].

فلم تصل فرنسا وتركيا إلى أي اتفاق بشأن الحدود الجنوبية فيما يخص ملكية واحة جانت[2]، فقامت فرنسا باحتلال عدة مناطق جنوب الصحراء فعلى اثر هذا التقدم قامت عدة قبائل من إفريقيا ومن منطقة الكفرة بحركات مقاومة لموجهة الاحتلال الفرنسي، لكن تمكن الفرنسيين من هزيمتهم والسيطرة على واداي[3].

لكن سرعان ما تحركت الدولة العثمانية بطلب من متصرف فزان حيث اتخذت عدة إجراءات وقائية لإيقاف التقدم الفرنسي نحو فزان فسارعت بإرسال الجنود النظاميين إلى أهم منطقتين وهما براداي في تبستي وبوركو، وكذلك استقر القائمقام للإقامة في عين جالاكة حيث تعتبر هذه المناطق مفتاحا لوسط أفريقيا[4].

فاحتجت فرنسا على التقدم العثماني نحو ممتلكتها في منطقة تشاد وتجاه هذه التطورات والأحداث قررت حكومة باريس وتركيا بمباشرة المفوضات لوضع حد لخلافاتهم في منطقة الصحراء[5].

فالإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية جاءت متأخرة وضعيفة حيث اشتدت في ذلك الوقت الحرب العثمانية الايطالية، وانتهت بهزيمة الدولة العثمانية فاستطاعت الدولة العثمانية الاستقرار في وسط أفريقيا سنتين بعد الاحتلال الايطالي لليبيا فاضطرت للتنازل عن حقوقها في ليبيا في معاهدة أوشي لوزان إلى ايطاليا، وبالنسبة لفزان استطاعت تركيا العودة إليها 1914م بسبب المقاومة التي أبداها

---

[1] - الفيتورى، عطية مخزوم، مرجع سابق، ص: 173.

[2] - روسي، إتوري، مرجع سابق، ص: 475.

[3] - الفيتورى، المرجع السابق، ص: 174.

[4] - الريان، محمد رجائي، مرجع سابق، ص: 220.

[5] - الفيتورى، المرجع السابق، ص: 174.

أهالي فزان ضد الايطاليين، وبسبب تحالف تركيا مع ألمانيا لكن سرعان ما استولى الايطاليين عليها[1].

فكان الهدف الرئيسي للاستعمار الفرنسي هو احتكار التجارة واستغلال الموارد الطبيعية والبشرية ونهب خيراتها وتشريد السكان وبيعهم في المزاد العلني فكان المستعمر يفعل أي شي في سبيل تحقيق مصلحته الشخصية فقد استعانوا بالأساليب العسكرية لكنهم فشلوا في ذلك؛ نتيجة للوعي السياسي وتصاعد الحركات الثورية، فالتجئوا إلى الطرق الاقتصادية الخفية لاستغلال الموارد الطبيعية والحيوية، واحتكار منتجاتها للدول صاحبة النفوذ ولحلفائها[2].

[1] - الريان،مرجع سابق، ص: 221.

[2]- نجم، محمود عبد الله، أفريقية والاستعمار دراسة تقويمية في أصول التطور الجيوبوليتيكي، مجلة البحوث التاريخية – العدد الثاني- 1989م، جامعة الفاتح – مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، ص: 137

الفصل الثالث

(الجانب الاقتصادي لمدينة مرزق)

المبحث الأول

الإنتـــاج المحلي لمدينـــة مرزق، وتجارة القوافل الداخلية

اقتصاد المناطق والبلدان يعتمد وبشكل كبير على الموقع الجغرافي، والأمن والاستقرار فكانت التجارة والزراعة بالإضافة إلى الصناعة تمثل الدخل الرئيسي للبلدان، فلم تكن التجارة متعلقة بالمناطق الساحلية فقط بل ازدهرت في الصحراء الكبرى فلم تكن الصحراء عقبة لا يمكن تخطيها بل كانت تمثل طريق اتصال طبيعي، فللصحراء مخاطر وهي نفس مخاطر المحيط مثل قطاع الطرق والظروف المناخية والثورات والحروب السياسية حيث ازدهرت تجارة القوافل بشكل كبير(1).

كذلك توجد بعض المهن التي يمارسها السكان مثل الطب ويوجد نوعين من الطب وهما النوع الأول: طب عملي ويمارس عن طريق الكي بالنار والفصد والحجامة وتجبير الكسور بالإضافة إلى العلاج بالأعشاب، أما النوع الثاني هو طب روحي يمارسه احد الفقهاء أو الشيوخ وذلك بقراءة بعض السور والآيات القرآنية أو عمل الأحجبة و الرقي لطرد الأرواح الشريرة(2).

يقصد بالإنتاج المحلي هو الصناعات التقليدية التي يصنعه الإنسان من بيئته التي يعيش فيها فهي نوع من مظاهر الحضارة حيث لعبت هذه الصناعات دوراً كبيراً في النشاط الاقتصادي لمدينة مرزق فكانت قد اتخذت هذه الحرفة مصدر رزق للكثير من السكان فاعتمد إنتاج مدينة مرزق وبشكل كبير على بعض الحرف التي اشتهرت بها وأهمها ما يلي :-

أ-الزراعة:

على الرغم من وجود مرزق وسط الصحراء إلا أنه تعد إحدى المناطق الزراعية الخصبة في فزان فالتربة الناعمة غالبا رملية لكن يوجد بالقرب من مرزق تحت سطح التربة طين ابيض يضاف إلى الرمال لتصبح تربة خصبة نوعا ما(3)، على الرغم من قلة سقوط الأمطار والمناخ الصحراوي إلا أن مرزق اشتهرت بالعديد من الزراعات حيث إن سلاطين أولاد أمحمد شجعوا السكان على استصلاح

---

[1] - زليتنز، جان كلود، مرجع سابق، ص: 30.
[2]- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 52
[3]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 204.

الأراضي بعد الحروب والغارات التي حلت بها وزراعتها وإعطاء المزارع الذي يفلح في أرضه أرضا مملوكة للدولة، فانتشرت البساتين والمزارع وأشجار النخيل وذلك بسبب مخزون مرزق من المياه الجوفية والقريبة من سطح الأرض، لعلة ابرز الزراعات زراعة النخيل لأنها لا تحتاج إلي سقاية فهي تنمو بواسطة جذوعها التي تصل إلى طبقة الماء وتعتبر أشجار النخيل مصدر رئيسي للغداء ويوجد حوالي30 نوع من التمور في مرزق فقط التي تختلف من حيث الطعم والشكل والحجم فهي أجود من تمور المناطق الساحلية[1].

وتعتبر فئة المزارعين والفلاحين من الفئة الفقيرة فهي تعاني من الاستغلال الاقتصادي، بسبب الضرائب التي تفوق قدرة إمكانياتهم المادية، وتنقسم هذه الفئة إلى طائفتين تتمثل الأولى في المالكين الذين يعملون بأنفسهم في أرضهم وفي بعض الأحيان يستأجرون عمالا زراعيين لمساعدتهم، أما الطائفة الثانية هم الذين يعملون في أراضي غيرهم، ليقوموا بتسيير عملية الري الصعبة بالإضافة إلى إخراج المياه من الآبار بواسطة الحيوانات، ويعيشون في هذه الأراضي بصفة دائمة ويطلق عليهم "جبادين"[2].

ومن الزراعات التي انتشرت وازدهرت في مدينة مرزق في عهد أولاد أمحمد الزراعات الموسمية فاتسعت المساحات الخضرة فكان لكل فصل محصوله الخاص ففي فصل الشتاء يزرع القمح والشعير وفي فصل الصيف تزرع الذرة((السوداني)) هذه والقضب والقافولي واللوبيا، بالإضافة إلى زراعة الخضراوات والفواكه مثل زراعة البطيخ والرمان والباذنجان والملوخية والفلفل والسلق وأشجار البرتقال والليمون،فصدرت فزان من هذه المحاصيل إلى طرابلس والسودان[3].

أما عن الطريقة المستخدمة في استخراج المياه من البئر أما أن يكون عن طريق الإنسان أو الحيوان حيث يتم سحب الماء من البئر لري المحاصيل الزراعية

1- رولفس، مرجع سابق، ص: 264.

2- الشيخي، منيرة علي مسعود، مرجع سابق، ص ص: 100- 101.

3 - أيوب، مرجع سابق، ص :105.

ويمر الماء عبر القنوات(السواقي) وهي عبارة عن قنوات تمر بها الماء وتتفرع منها قنوات فرعية حتى تصل المياه إلى المحاصيل الزراعية[1].

ب-الصناعة:

تعد الصناعة مظهراً من مظاهر الحضارة وهي وسيلة للتعبير عن الثقافة والأصالة في المجتمع فارتبطت هذه الصناعات بالبيئة المحلية وأصبحت من الصناعات التقليدية والغرض منها سد احتياجات السكان فهي مصدر لعيش الكثير من السكان فتجسدت الصناعات التقليدية في كونها تمثل أو تجسد المظاهر الحياتية للبيئية عن طريق الرسومات والنقوش المنحوتة عليها والتي تعطيه طابع ثقافي وحضاري.

أما في مجال الصناعة فقد استخدام أهالي مرزق المواد الخام التي تتوفر من البيئة المحلية مثل أشجار النخيل التي استخدامات وبكثرة في العديد من الصناعات فلم تنحصر بإنتاج التمور فقط فقد تم استعمال الأخشاب في بناء المساكن سواء كان في الأسقف أو أبواب المنازل واستخدم الجريد أو ما يعرف"السعف" في صناعة الحصائر والسلال والأطباق بأنواعها مثل(أطباق الغطاء، وأطباق الحفظ والتخزين، وأطباق الكيل)، وكذلك صناعة المراوح السعفية واستخدم كمضلات للوقاية من إشاعة الشمس الحارة وتم استخدام الألياف في صناعة الحبال والألياف[2].

بالإضافة إلى الصناعات التي تعتمد على الثروة الحيوانية لتوفر مواد الخام اللازمة لعملية الصناعة، مثل الصناعات الجلدية التي ارتكزت في الأساس على دبغ الجلود وصناعة صناعات مختلفة مثل: الحزام وهو معروف باسم (السير)، بالإضافة إلى صناعة الأحذية وقرب الماء والحقائب والسروج، وأغمدت السيوف والبنادق، وصناعة النسيج حيث برز العنصر النسائي في إتقان بعض الصناعات مثل أن تقوم النساء بصناعة أدوات الزينة وجمع الصوف وتنظيفه وتخليصه من

---

[1]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص ص: 205- 208.

[2]- http://. libya11.com. /2017-12-3/10:25pm.

الشوائب ويتم غزله ونسج الخيوط لاستعمالها في حياكة الأثواب والعباءات والخيام بالإضافة إلى أدوات الخزف[1].

كذلك توجد بعض الصناعات المختلفة والبسيطة التي يمارسها سكان مرزق مثل الصناعات الفخارية والمتمثلة في صناعة الجرار(الباقون)، والأواني وقدور الطهي بالإضافة إلى الفرن لأعداد الخبز، بالإضافة إلى صناعات المعادن البسيطة (الحدادة) من الفضة والنحاس والحديد وهي متمثلة صناعة السكاكين والفؤوس والمناجل المستخدمة في الحصاد والمشفاة ولجام الحيوانات والمسامير، بالإضافة إلى أدوات الزينة وحلى النساء مثل العقود والخلاخيل والمكحل والمرود والخواتم والأساور، والأواني المنزلية[2].

تجارة القوافل الداخلية:

التجارة الداخلية هي من المهن التي يحترفها السكان ويختص بهذه التجارة أصحاب القوافل الصغيرة التي تتكون من عشرة إلى عشرين جمل، وتتجول هذه القافلة بين قرى ومناطق فزان وتقوم القافلة بنصب أسواقها خارج القرى لبيع بضائعها وتبقي هذه القافلة لمدة أسبوع أو عشرة أيام، بعد ذلك تنتقل إلى قرية أخرى إلى أن تنتهي السلع وتفرغ الجمال ما عليها من أحمال وتعود بعد ذلك القافلة أدراجها إلى موطنها[3].

كانت مرزق تتمتع بشبكة من الطرق التي جعلتها حلقة وصل بين مراكز فزان ومحطاتها وواحاتها من ناحية وبين المناطق الليبية من ناحية أخرى، والطرق الداخلية هي طريق عبر جبال غريان الواقع جنوب طرابلس، وطريق عبر جبال بني وليد في الجنوب، وطريق عبر مصراته، فلعبت هذه الطرق دور كبير مع المراكز التجارية الهامة وساعدت في إحياء أسواقها وازدياد النشاط الاقتصادي

[1]- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، : 42.
[2]- الأبيض، مرجع سابق، ص: 171.
[3]- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 50.

لمرزق وفي العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فقد خلق هذا الاتصال نوعا من التكامل الاقتصادي بين أسواق الواحات الليبية والأسواق الافريقية[1].

والرحلة إلى فزان متعبة وشاقة وملية بالصعاب وارتبطت مع المراكز والواحات الليبية بشبكة من طرق المواصلات، عبر الطرق الثلاثة المؤدية إلى مرزق فالقوافل التجارية تحتاج لقطع هذه المسافة حوالي الشهر تقريبا، فكان الطريق المفضل عند التجار والقوافل التجارية طريق مصراته، إلا إذ كانت هناك اضطرابات سياسية فا في هذا الوضع تعبر القوافل التجارية من طريق جبل غريان الذي به كثافة سكانية[2].

فقد كانت التجارة الداخلية تقوم بين المراكز التجارية والمدن الساحلية والواحات الليبية فقد لعبت مرزق دور مهم في التجارة الداخلية حيث كانت تمثل مركز وملتقى لتجار الواحات الداخلية وسوق رائجة بالبضائع المختلفة باعتبارها إحدى المراكز التجارية الهامة التي تصلها سلع بلاد السودان والسلع الأوروبية وتتم هذه التجارة عن طريق المقايضة، فكان تجار المناطق الساحلية يأتون محملين بالأقمشة والملابس والعباءات والعطور والزجاج، ويرجعون محملين بالتمور والحبال والألياف والجلود والرقيق والعاج والذهب[3].

وفي البلاد سوق عام كبير يأتي التجار من كل مكان في الصباح الباكر إلى سوق مرزق قبل أن تشتد الحرارة لبيع منتجاتهم تحث مظلات منصوبة أمام حوانيت صغيرة في الشارع الرئيسي ويوجد بها جميع أنواع السلع والبضائع وغالبا ما تكون البضائع محلية مثل التمر والقمح والشعير[4]، وعندما تشتد الحرارة يغادر الجميع إلى منازلهم وبعد صلاة العصر تبدأ الحركة من جديد في السوق لكن

---

[1]-الأبيض، مرجع سابق، ص: 152-153.
[2]- المرجع نفسه، ص 153.
[3]- المرجع نفسه، ص174.
[4]- الحشائشي، محمد عثمان، مصدر سابق، ص85.

هذه الفترة يتحول إلى سوق النساء فهو أكثر ازدحاما وأنشط حركة[1]، فكان سكان مرزق نساء ورجال يتعاملون بالبيع والشراء فكان لنساء دور بارز في ممارسة التجارة في السوق ومن الأشياء التي تبيعها النساء الخبز والذرة والخضروات مثل البصل والفلفل والفاصوليا والملوخية والتمر والبطيخ والتين والرمان اللاقبي والبيض والدجاج بالإضافة إلى كل ما تحتاجه النساء الحنة والمرايا والأساور[2].

---

[1]- الشيخي، منيرة علي مسعود، المرجع السابق، ص: 31.

[2]- الأبيض، مرجع سابق، ص: 176.

المبحث الثاني

تجارة القوافل الصحراوية

(الطرق- المراكز العمرانية- أنواع البضائع- سلع العبور)

تجارة القوافل:

لم تكن الصحراء الكبرى حاجز أو عقبة لا يمكن تخطيها في أي يوم من الأيام أمام التجار والدعاة والفاتحين بل كانت جسر عبور بين أبناء القارة الواحدة وتلاحم حضاري واقتصادي، فقصدها التجار من جميع الأقطار العربية خصوصا من مدينة مرزق، فالعرب لم يدخلوا أفريقيا غازيين أو مستعمرين بل دخلوها مهاجرين وتجار ودعاة فامتزجوا مع السكان الأصليين وانصهروا في المجتمعات الأفريقية وكونوا ممالك وإمبراطوريات مشتركة ودخل الإسلام إلى أفريقيا بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة(1).

اشتهرت مرزق بكونها حاضرة فزان ومركزه التجاري فهي لعبت دورا كبير في نشاط تجارة العبور الذي بعث فيها الحياة والازدهار لقرون عديدة فتجارة العبور من أهم مصادر الدخل للمدينة بشكل عام، حيث كانت تصلها القوافل من جميع الأقطار وازدهرت المدينة بنشاط تجارة العبور وساعده في ذلك موقعها الجغرافي الاستراتيجي وعلاقاتها بالمناطق الساحلية وببلاد السودان فكانت تربطهم علاقة وثيقة خصوصا في أواخر القرن السادس عشر الميلادي عند سقوط مملكة سنغاي الإسلامية وأصبحت مملكة برنو مهيمنة على المنطقة الصحراوية الواقعة على حدود فزان فارتبطت ارتباط مباشر بالممالك الافريقيا بورنو و كاشنه ووداي وتمبكتو(2).

فكانت طرق القوافل محكومة بتوفر الآبار والمياه على هذه الطرق لعبور المسافة الطويلة التي تصل لحوالي الشهرين تقريبا، فالقوافل تتخذ من المناطق المتوفرة بالمياه أماكن للاستراحة من عناء السفر الطويل(3)، حيث استخدمة الجمال

1- الدالى، الهادي المبروك، مرجع سابق، ص: 11.
2- الجدال، المرجع السابق، ص66.
3- كورُو، فرنشسكوُ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 2003م، ص56.

في التجارة الخارجية لقدرت الجمال علي تحمل مشقة الصحراء بما فيها من مخاطر لكن استخدام الجمل في التجارة الصحراوية أدى إلى كسر حواجز الصحراء[1].

فقد شهدت تجارة القوافل الصحراوية في مطلع القرن السادس عشر انحدرا ملحوظ حيث طرأت عليها بعض التغيرات أدت إلى إضعافها نوعا ما مما كانت عليه في العهد العربي الإسلامي، فاتسم العهد العثماني الأول (1551- 1711م) بشكل عام بعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي وقد أهمل الأتراك إقليم فزان، وذلك بسبب تعدد الولاة وتدخل الانكشارية في شؤون الحكم، فاثر ذلك سلبا على تجارة القوافل، ففي عهد محمد الساقزلي ازدهرت التجارة حيث استطاع أن يمارس التجارة بالإضافة إلى مهامه كوالي لولاية طرابلس الغرب، بالإضافة إلى الضرائب التي فرضها على النخيل والزيتون فازدهرت طرق لقوافل الصحراوية وشهدت ولاية طرابلس نوع من الرخاء[2].

لكن الأوضاع التجارية والاقتصادية سرعان ما ساءت في عهد عثمان باشا الذي احتكر التجارة بجميع أنواعها وزاد الضرائب فأصبح هو المورد الوحيد والمسئول عن عملية البيع والشراء فجشعه أعمه وامتلأت خزائنه وشجع التجارة الخارجية بشكل كبير حيث أصبحت ولاية طرابلس في عهده محطة للتبادل التجاري، لكن تجارة القوافل الصحراوية ظلت نشطة بين فزان وبين بلدان ما وراء الصحراء فهي تمثل المصدر الرئيسي لاقتصاد البلاد[3].

وفي العهد القره مانلي حظيت تجارة القوافل بنوع من الاهتمام والتنظيم حيث كانت فزان مصدرا رئيسيا لولاية طرابلس من الإتاوة التي يدفعها سلطان فزان، فووصلت التجارة إلى أوج ازدهارها في سنة 1750م، بسبب التبعية التي فرضت على فزان حيث زاد عدد الرقيق في الأسواق فهذه التجارة تمثل أكثر من 80% من

---

[1]- الدالي، الهادي المبروك، مرجع سابق، ص: 336.

[2]- عبد الصمد، عبد الصمد عبد القادر، مرجع سابق، ص ص: 36 – 37.

[3]- زليتنز، جان كلود، مرجع سابق، ص ص: 250 - 251.

تجارة فزان فهي لا تكاد تنتج شي فهي تعتمد وبشكل كبير على الأرباح التي تجنيه هذه التجارة من عملية الاستيراد والتصدير للرقيق والذهب[1].

الطرق:

- **طريق طرابلس - برنو**

يعتبر هذا الطريق من أسهل الطرق التي تعبر الصحراء الكبرى وذلك لوفرة المياه على طول الطريق حيث توجد الآبار والتمور والواحات على مراحل متقاربة، وكذلك يعتبر هذا الطريق من أمن الطرق فكان يطلق عليه "طريق الجرمنت" فالقوافل التي تمر بهذا الطريق لا تتعرض إلى أي اعتداءات أو دفع إتاوة إلا في حالات نادرة، فيبدأ هذا الطريق من طرابلس ويمر عبر مزده والحمادة الحمراء إلى أن يصل إلى مرزق ثم يمر بتجرهي وبيلما إلى أن يصل برنو، وتستغرق القوافل الصحراوية لعبور هذا الطريق ستة أشهر ذهابا وإيابا[2].

بسبب سهولة طريق طرابلس برنو ازدهرات التجارة بين برنو وطرابلس، واكتسب هذا الطريق أهمية خاصة لدي سكان الواحات الصحراوية وخصوصا أهالي مرزق لأنه أصبح يمس حياتهم الاقتصادية بشكل مباشر ويعد الطريق الأكثر أمناً، فأصبحت تربطهم ببرنو علاقة وثيقة خصوصا عندما أصبحت برنو مركز الثقل السياسي والاقتصادي في عهد محمد الأمين الكانمي[3].

بعد وفاة محمد الكانمي أصبح هذا الطريق يفقد أهميته تدريجياً بسبب الصراع على السلطة بين خلفائه وانتشار الحروب والصراعات والفوضى بين برنو ووادي وباقرمي، فأثر ذلك على نشاط التجارة فتوقفت التجارة عبر هذا الطريق في مطلع التسعينات من القرن التاسع عشر[4].

---

[1]- زليتنز، جان كلود، مرجع سابق، ص: 361.
[2]- الجدال، مرجع سابق، ص: 22.
[3]- الأبيض، مرجع سابق، ص: 219.
[4]- الجدال، المرجع السابق، ص: 26.

- **طريق طرابلس – كانو**

يعرف هذا الطريق بطريق السودان الأوسط وهو من أطول الطرق حيث يبدأ هذا الطريق من مدينة طرابلس ويتجه جنوبا مرورا بالزاوية تم سيناون ثم يمر بغدامس وغات ومنها إلى الجنوب الغربي مارا بالاير إلى أن يصل كانو، والقوافل تستغرق حوالي تسعة أشهر ذهابا وإيابا بالإضافة إلى ثلاثين يوما للاستراحة أثناء الطريق[1].

- **طريق الحج**

ترجع أهمية طريق الحج إلى ارتباطها بأداء فريضة الحج بالإضافة إلى تنشيط المعاملات التجارية لتغطية نفقات الحج وتحسين أوضاعهم الاقتصادية، فكانت قوافل الحجاج تحمل معها كميات كبيرة من البضائع، فكان طريق الأول للحجاج يمر عبر المناطق الساحلية المأهولة بالسكان فيبدأ من مدينة طرابلس ويواصل امتداده حتى يصل إلى طبرق إلى أن يصل إلى القاهرة عند كرداسة ليلتقي بالطريق الثاني وهو الطريق الجنوبي الذي يقطع الصحراء الكبرى ويمر بمرزق إلى أن يصل واحة الجغبوب ثم يتجه إلى دلتا النيل إلى أن يصل إلى كرداسة[2].

ظهرت أهمية طرق الحج منذ العصر الوسيط (الإسلامي) للمناطق الأفريقية حيث ساعد انتشار الإسلام في المناطق الأفريقية في ظهور الممالك الإسلامية، حيث أدى دلك إلى ازدهار طريق الحج الجنوبي حيث كانت هناك رحلات حجيج جماعية منتظمة تنطلق من مرزق إلى الأراضي المقدسة، فكانت مرزق إحدى المراكز الرئيسية الواقعة على طريق الحج الوافدة من بلاد السودان عبر الصحراء الغربية[3].

فكانت قوافل الحج الذاهبة إلى مكة تزاول مهنة التجارة وتحمل معها العديد من البضائع مثل أغطية الرأس والأحذية المغربية التقليدية وجلود الماعز المدبوغة

1- الجدال، مرجع سابق، ص: 28.

2- الجدال، المرجع السابق، ص: 35.

3- الأبيض، المرجع السابق، ص: 226.

الملونة واللؤلؤ والشمع لبيعها لتغطي تكليف الطريق، وتعود القافلة محملة بالساتان الفارسي المخطط من كل الأنواع، والشالات، والزبد، والحرير والصبغة الحمراء[1].

وفي القرن التاسع عشر الميلادي برزت أربعة طرق لقوافل الحج العابرة :

- طريق من بلاد الهوسا حيث يمر بكانو وكاتيسنا والآيير وفزان ثم إلى أوجلة حتى القاهرة، فهذا الطريق أكثر استعمالاً فقد كان يسلكه العلماء والحجاج.
- طريق من برنو يسير شمالا عبر واحة بلما ويلتقي مع طريق بلاد الهوسا، فكان سلاطين برنو يستعملون هذا الطريق.
- طريق يربط عاصمة واداي بالطرق الأخرى فهذا الطريق يقع شرق الطريقين السابقين ويلتقي بهما في فزان.
- طريق درب الأربعين يربط الفاشر عاصمة دار فور وهذا الطريق يعبر الصحراء شمالا حتى واحة سليمة إلى أن يصل إلى أسيوط في مصر[2].

- **طريق واداي:**

يوجد طريقان مؤديان إلى واداي احدهم ينطلق من طرابلس محاذيا لساحل البحر حتى سرت، ثم يته جنوبا إلى الجفرة ومنها إلى الكفرة ثم إلى واداي، أما الطريق الأخر يبدأ من بنغازي إلى اجدابيا ثم أوجلة ثم الكفرة حيث يلتقي بالطريق الأول، ازدهر طريق واداي في سنة 1880م عندما تدهورت الطرق الغربية وذلك بسبب التوسع الفرنسي والبريطاني واستيلائهم على معظم الدول الأفريقية أدى إلى توجه التجارة إلى مرافئ غرب أفريقيا، والسبب الثاني هو تعرض طريق طرابلس كانو للاضطرابات السياسية والحروب، فقد شهد طريق واداي ازدهارا كبير في المجالين التجاري والثقافي، فقد كان الطريق الأكثر أمنا وذلك بسبب سيطرة الحركة السنوسية على تجارة القوافل عبر هذا الطريق[3].

---

[1]- زليتنز، جان كلود، المرجع السابق، ص: 389.

[2]- الأبيض، مرجع سابق، ص: 227.

[3]- الجدال، مرجع سابق، ص: 31.

المراكز التجارية:

اشتهرت المراكز التجارية الصحراوية بكونها أماكن للاستراحة من عناء السفر الطويل ومشقة الطريق وكذلك تعتبر المراكز التجارية بمثابة أسواق محلية يوميا وأسبوعية وموسمية ويتم فيها البيع والشراء بمقايضة السلع كالحيوانات والمنسوجات والحبوب والذهب، وفي الأسواق التجارية يعقد سوق كبير في ربيع كل عام يفدون إليه من كل حدب وصوب فيعرض التجار بضائعهم مثل السيوف والبنادق والرصاص وكذلك يعرضون العبيد والجلود والذهب وريش النعام بالإضافة إلى الجمال والبلح والحبوب [1].

أولاً: مرزق

فكانت هناك علاقات تجارية واقتصادية تربط فزان بأسواق السودان الأوسط والغربي[2]، فكان بمرزق سوق عام يباع فيه البضائع بالمزاد العلني، فكانت مرزق ملتقي لتجار الواحات فكانوا الفزنيون والتبو والطوارق يتبادلون منتجاتهم وبضائعهم ويقايضونها ببضائع أوروبية، كذلك النساء شاركن في عمليات التجارة فكانا يبيعنا الحبوب والبطيخ و البيض والدجاج[3].

ثانياً: كوكه

تقع جنوب فزان وهي أرض شاسعة يستغرق الوصول إليها من ارض فزان مسيرة أربعين يوماً وهي عاصمة برنو، بنيت المدينة في عهد السلطان محمد الكانمي سنة 1810- 1830م، ويحيط بها سور من الطين يبلغ ارتفاعه حوالي عشرين قدما، وتنقسم المدينة إلى قسمين القسم الأول وهو الغربي والذي يطلق عليه (قرقوتي) وله خمسة أبواب ويغلب عليه الطابع التجاري ويسكن فيه التجار الغرباء من فزان وطرابلس والقاهرة، أما بالنسبة للقسم الشرقي الذي يطلق عليه (قرقيدى)وله أربعة أبواب فهو يظم مقر الدولة والسلطان والعساكر وكذلك سكن

---

[1]- ليون، جون فرنسيس، ص: 85.
[2]- الأبيض،رجب نصير، المرجع السابق، ص: 239.
[3] - رولفس، المرجع السابق، ص: 292.

لكبار موظفي الدولة ويغلب على القسم الشرقي الطابع السياسي، وتوجد حولها كثيرا من المزارع حيث تشبه الغابة من بعد أكثر مما تشبه المدينة لأنه خالية من الأبراج والمباني العالية، وفي كل اثنين ينعقد السوق الكبير في قرقوتي أمام الأبواب الغربية[1].

ثالثا:كانو

تقع كانو شمال نيجيريا الحالية معظم سكانه من الهوسا اشتهرت كانو بتجارة نترات الصودا ولوز الكولا وازدهرت هذه المنطقة بشكل كبير خلال القرن التاسع عشر بسبب موقعها الاستراتيجي وسط منطقة زراعية تتوفر فيها جميع احتياجات سكانها بالإضافة إلى ممارسة سكانها بعض الصناعات الجلدية التي تملك خصائص هامة أفسحت المجال لتصدير منتجاتها إلى شمال أفريقيا[2].

رابعاً: أغاديس

تقع مدينة أغاديس ضمن إقليم أهير المأهول بالسكان، ويستغرق الوصول إليها من مدينة مرزق مسافة ستة وثلاثين يوماً وهي عاصمة إقليم أهير ومقر السلطان، ويحيط بها سور ومعظم منازلها من دور واحد مبنية من الطين، وجميع سكانها مسلمون، ويحدها من الشمال مدينة غات ومن الشرق إقليم التبو ومن الغرب إقليم الطوارق والفولانيون ومن الجنوب مناطق الهوسا، فكان لتجارة الذهب دور كبير في ازدهار أغاديس التي تمثل الميناء الداخلي لتجارة الذهب بالإضافة إلى تجارة الملح[3].أغاديس مدينة اكبر مساحة من مرزق ومنازلها مبنية من الطين ومشيدة على غرار منازل مرزق وبعضها لها طابقان ويحيط بها سور من الطين والحجارة ويوجد بها مئذنة كبيرة تنصب من المسجد الكبير وأغاديس إقليم مستقل[4].

---

[1] - رولفس، مرجع سابق، ص: 445_446.
[2] - الجدال، مرجع سابق، ص: 115.
[3]- الجدال المرجع السابق، ص: 114.
[4]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 101.

خامسا: تمبكتو

أسست تمبكتو كمركز للتجارة عبر الصحراء ومقر مهم لنشر الذين الإسلامية وتعليمه من القرن الرابع عشر، وهي نقطة وصل بين شمال الصحراء وجنوبها وتقع تمبكتو على بعد تسعين يوما من مرزق وهي مدينة مسورة ومنازلها منخفضة جدا، وينقسم سكانها إلى قسمين: فسكان الشمال أصلهم من العرب والطوارق وهم رجال القوافل والرعاة، أما سكان القسم الثاني هم السكان المحليين الأصلين وهم الحرفيون والمزارعين والتجار[1]، بنيت هذه المدينة بدون نظام أو تنسيق ويحكمه ملك لا يتمتع بسلطة كبيرة وأهلها من السود وتتشابه ملابسهم مع ملابس السودانيون فالأغنياء يرتدون القمصان والسراويل بينما الفقراء عرايا أو شبه عرايا واهم منتجاتها الذهب والجلود[2].

سادسا: مملكة واداي

وهي منطقة إسلامية عاصمتها أبشة، تقع في الطرف الغربي من حوض بحر الغزال وهي بلاد قليلة المياه يحدها من الشمال الصحراء الكبرى ومن الغرب والجنوب الغربي مملكة كانم وباقرمي ومن الجنوب الشرقي دار رنقه[3]، وينقسم سكانها إلى مجموعات مختلفة وهم الأفارقة والمجموعات السودانية والعرب، ويحكمه سلطان وهو يملك أعلى سلطة في الدولة ويساعده مجلس أصحاب الشورى في إدارة الدولة[4].

كان لهذه المراكز دور كبير في تشجيع السكان والجماعات البشرية على الاستقرار فيها وممارسة الحرف اليدوية البسيطة بالإضافة إلى ممارسة التجارة الداخلية والخارجية والعمل على تلبية احتياجات المسافرين وراحتهم[5].

---

[1] - الجدال، مختار، مرجع السابق، ص: 112-113.
[2]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 114.
[3]- الجدال، المرجع نفسه، ص: 119.
[4]- الفيتورى، عطية مخزوم، مرجع سابق، ص: 229.
[5]- الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء(من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر)، الدار المصرية اللبنانية، ط: الأولى 1999م، ص: 294.

أنواع البضائع:

اختلافات البضائع الصادرة والواردة من والى فكانت القوافل المتجهة إلى بلاد ما وراء الصحراء تحمل مجموعة كبير من البضائع الأوروبية المصنعة والتي لا تتوفر في أفريقيا وتضم هذه السلع ما يلي: "الزجاج من البندقية والورق والإبر من النمسا والحرائر من فرنسا والأردية والعمائم والمرجان والعنبر والقفاطين والمناديل، بالإضافة إلى البضائع الحديدية والأوعية النحاسية والبضائع القطنية والعطور، بالإضافة كذلك إلى الشاي الصيني وأكواب القهوة "[1].

بالإضافة إلى البضائع الطرابلسية والمصرية والتونسية مثل: الملح والخيول والقماش المصبوغ والقماش الأبيض والجرود بأنواعها والبرنس والكساوى المحروجة والشاشية التونسية، والقرمود بأنواعه، والعطور والمسك والحلي وبعض أنواع الأسلحة.

سلع العبور:

يقصد بسلع العبور تجارة الصادرات والواردات من بلاد إلى أخر، ويشترط في تجارة العبور أن تتحمل البضائع المناخ الحار وطول مدة الرحلة، وان تكون البضائع ذات قيمة عالية حتى تغطي مصروف الرحلة والجهد المبذول من قبل التاجر.

أهم السلع المحملة من الشمال إلى الجنوب:

1- **الملح :** فالملح سلعة رئيسية في تجارة الصحراء منذ وقت طويل لعدم توفره بكميات كثير فكان يستبدل الملح بالذهب لقلة توفره داخل أفريقيا فكان سكان أفريقيا يدفعون الكثير للحصول عليه، فكان يحمل الملح عبر الصحراء على

---

[1]-الجدال، مختار، مرجع سابق، ص: 72.

ظهور الجمال ويوزع على المراكز التجارية الكبرى فيما وراء الصحراء وبعد ذلك يوزع على الدواخل الإفريقية[1].

2- **الخيول:**كان حكام بلاد السودان يفضلون خيول الشمال الأفريقي لأنها عالية وأصيلة وهي غالية الثمن، فخيول سكان بلاد السودان قصيرة وصغيرة[2].

3- **الوداع:** وهو نوع من الصدف، وهي العملة السائدة في البلدان الافريقيا، وقد استخدم في البلدان الافريقيا كعملة للبيع والشراء واستخدم في المبايعات الصغيرة[3].

4- **الأقمشة:** المصنعة والجاهزة بأنواعها المختلفة الحريرية والقطنية والصوفية مثل القفاطين والعمائم والجرود والأردية.

5- **الأسلحة:** بمختلف أنواع ويتم الطلب عليها من قبل الحكام لاستخدامها في الحروب وهذه الأسلحة مثل الدروع و الأسلحة النارية والأسلحة البيضاء والخناجر.

6- **الورق والكتب:** التي ازدهرت تجارته نتيجة إلى التأثير الكبير للثقافة العربية الإسلامية وانتشار الدين الإسلامي في المجتمعات الأفريقية فيما وراء الصحراء.

7- **الزجاج:** لاقت المصنوعات الزجاجية رواج كبير في الدول الافريقيا وازداد الطلب عليه مثل المرايا والأساور الزجاجية الملونة بالإضافة إلى الروائح العطرية ومواد الصباغة والذهب والفضة.

8- **الأدوات الحديدية والنحاسية:** مثل الأدوات المستخدمة في الطبخ كالأقدار والسكاكين وأواني الأكل والإبر والأدوات المستخدمة في الزراعة.

أهم السلع المحملة من الجنوب إلى الشمال:

1- **الذهب:** فهو السلعة الرئيسية التي استهوت التجار منذ أقدم العصور فكان الذهب هو المحور الرئيسي للتجارة القوافل الصحراوية فكانت أفريقيا تصدر كميات كبير إلى الشمال.

---

[1]- الجدال،مرجع سابق، ص84.

[2]- الدالي، الهادي المبروك، مرجع سابق، ص: 333.

[3]- المرجع نفسه، ص: 332.

2- **الرقيق:** كانوا الرقيق يمثلون السلعة الرئيسية فنشطت تجارة الرقيق في إطار العلاقات التجارية بين مرزق وبلاد السودان، فكانت تجارة الرقيق ذات قيمة تجارية عالية حيث كان ثلاثي القوافل تعمل بهذه التجارة فكانت تجارة الرقيق لا تتم بالمقايضة إنما نقدا خصوصا عندما تم تحريمها دوليا، لكن ازداد الطلب عليها من قبل الأوروبيين،فكان معظم الرقيق الذين يتم نقلهم من بورنو يتم شرائهم بثمن زهيد يساوي ثمانية قروش في بورنو وفي مرزق يساوي أربعة وعشرين وفي طرابلس يساوي من أربعين إلى ستين قرشا[1].

3- **ريش النعام:** ازدهرت تجارة ريش النعام بسبب كثرة الطلب عليه من قبل أوروبا لاستخدامه للرفاهية والزينة للنساء و الرجال وتزين الخيول واستخدامه في بعض الصناعات.

4- **العاج:** يعد من السلع المهمة حيث إن العاج متوفر وبشكل كبير وبكميات كبيرة في أفريقيا المتمثل في أنياب الفيلة، فدخل في العديد من الصناعات مثل أدوات الزينة، لكن لم تزدهر هذه التجارة إلا في القرن التاسع عشر حيث قدر "بتي دي لاكروا" كمية العاج التي تم تصديرها من الجنوب بحمولة مائتي جمل أي ما يساوي ثلاثين طناً من العاج[2].

5- **نبات السنا:** وهو من الأعشاب التي تستخدم في مجال الطب، فكان سلطان أولاد أمحمد بمرزق من اكبر التجار لهذه العشبة فهي تستخدم كمضاد للجراثيم ومسهل للمعدة.

6- **التمور:** يعد التمر الغذاء الرئيسي لأهل فزان بسبب جودته ووفرته، فكان جزء من التمور المحملة تستهلك في طرابلس، والجزء الأخر يصدر إلى أوروبا[3].

7- **الجلود:** من السلع التجارية القديمة، حيث يتم تصديرها إلى الشمال وتستخدم في صناعات متعددة مثل الأحذية والأكياس وقرب الماء[1].

---

[1]- زليتنز، جان كلود، مرجع سابق، ص: 345.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 346.

[3]- المرجع نفسه، ص360.

فكانت تتم المبادلات التجارية ومقايضة هذه السلع مرتين في السنة مرة في طرابلس ومرة في سوق مرزق، فكانت تجار القوافل يقضون حوالي أربعة أشهر في مرزق إلى أن تنتهي المبادلات التجارية وترجع بعد ذلك القافلة إلى موطنها[2].

---

[1] - الدالي، الهادي المبروك، مرجع سابق، ص: 322.

[2] - زليتنز، جان كلود، مرجع سابق، ص: 347.

المبحث الثالث

اثر تجارة القوافل على الحياة الاجتماعية ونشر الدين الإسلامي والثقافة والتعليم

كان لازدهار التجارة وطرق القوافل الصحراوية العابرة للصحراء الكبرى دوراً كبير ومهم في تاريخ المنطقتين الواقعتين شمالاً وجنوباً، ولم تقف الصحراء الكبرى عائقا أمام الروابط التاريخية والاقتصادية والصلات الاجتماعية فهي كانت منافذ في عملية التواصل بين التجار والسكان ونشاط حركة التجارة بين شمال الصحراء وجنوبها، فقد أدت إلى تكون علاقات اجتماعية وثقافية حيث انتقلت وانصهرت بعض العادات والتقاليد الاجتماعية مثل الاحتفال بعيد الفطر والأضحى وتوديع شهر رمضان بالرقص والطبول وأداء الرقصات بالإضافة إلى انتقال بعض أنواع المأكولات مثل المقطع والدشيشة[1].

فتعدد الظروف الطبيعية والاجتماعية واختلافها من منطقة إلى أخرى أدى إلى تعدد الثقافات والأفكار والمهن التي يزاولونها أو الحرف التي يمارسونها، فكان لتجارة القوافل اثر كبير في كسر الحواجز والاختلافات بين أبناء القارة الواحدة للتلاحم الاجتماعي والثقافي، فكان اثر التجارة كبير على مختلف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد انتقلت بعض العادات والتقاليد الاجتماعية من المجتمعات العربية إلى المجتمعات الأفريقية فيما وراء الصحراء مثل أصول الضيافة العربية[2].

كذلك الملابس التي تشابهت والى حد كبير ملابس سكان ما وراء الصحراء مع ملابس سكان شمال الصحراء فيغلب على ملابس سكان فزان اللون الأبيض أو الأزرق الغامق والثياب المصنوعة من الجلود[3]، فالرجل الأفريقي يرتدي قميص واسع وسروالا مصنوعا من الكتان ويضع على الرأس قبعة حمراء تشبه الشاشية، بالإضافة إلى حذاء احمر أو أصفر، ويضع لثاما على وجهه مثل سكان غات وغدامس، أما عن ملابس النساء فتشابهت معظم ملابسهن مع نساء سكان مرزق و غات، فهن يلبسن ما يعرف (بالتركيدي) أو ما يعرف (بالبرقان) الذي يلف حول

---

[1]- الجدال، مرجع سابق، ص: 135-138.
[2]- المرجع السابق، ص135.
[3]- رولفس، مرجع سابق، ص271.

الجسم بالإضافة إلى الصنادل والأساور والخلاخيل من النحاس[1]، وذلك بحكم قرب مدينة مرزق من بلاد السودان فيغلب عليها الصبغة السودانية[2].

وكان السوق هو المنبر والمكان الذي يتم فيه تبادل المعلومات والثقافات والتعارف وتبادل الخبرات والمعارف والعلوم وبيع المخطوطات، كذلك استطاع التجار أن ينشروا الدين الإسلامي بالإضافة إلى ممارستهم التجارة فقد سهل لقوافل العلماء والكتب والتيارات الفكرية عبور الصحراء من الشمال إلى الجنوب والعكس، فأسهم ذلك في انتشار التعليم والإسلام والثقافة العربية إلى المناطق الأفريقية التي تدين بالوثنية وذلك عن طريق التواصل التجاري والثقافي لاعن طريق السيف والحروب[3].

نشر الدين الإسلامي:

وهو الدور الذي لعبه التجار والدعاة على حد سواء وارتبط الإسلام بالتجارة منذ القدم فكان للتجار والدعاة دورا بارزا في عملية نشر الدين الإسلامي داخل الأسواق الافريقية والتغلغل بها في دواخل أفريقيا، حيث كان اغلب التجار يقومون بالتجارة ونشر الدين الإسلامي معا، فدخل الإسلام إلى أفريقيا بمجهودات فردية ليساهموا في غرس الدين الإسلامي[4]، بالإضافة إلى اندماجهم في المجتمعات الإفريقية فقد أحرز الإسلام مكان وموطن قدم من خلال عدة مبادئ أهمها: التي تتعلق بالعقيدة الإسلامية والإيمان ووحدانية الله سبحانه وتعالى والقيم التي تتعلق بالإنسان وسلوكه بالإضافة إلى دورها في المجتمع الذي يعيش فيه وكذلك قيامه على العدل والمساواة بين الناس جميعا فهو دين يسر[5].

---

[1]- الجدال، مرجع سابق، ص: 137

[2]- الشيخي، منيرة علي مسعود، مرجع سابق، ص: 31.

[3]- علي، جبريل أبوبكر، طرق القوافل وأثرها في تقوية العلاقات الثقافية بين ليبيا وجيرانها في جنوب الصحراء،12-2-2018م، الساعة11:20م،.http:// www . Iraqkhair com .

[4]- الفيتورى، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)، دار الكتب الوطنية –بنغازي، ط: الأولى 1998م، ص: 106

[5]- الفيتورى، عطية مخزوم، مرجع سابق، ص: 94.

كذلك كان هجرة القبائل العربية والتجار والعلماء واستقرارهم في المناطق الافريقية، ولعلة ذلك يرجع للعامل الاقتصادي لاكتساب الرزق، وقد حظي المسلمون في إفريقيا بالاحترام والتقدير، وبداء الدين الإسلامي يستقطب التجار والطبقة الحاكمة وأدى ذلك إلى قيام الممالك الإسلامية، وظهور المراكز التجارية على طول طريق الساحل والصحراء وتعد المراكز وكانت بمثابة مناطق حاضنة تعزز انتشار الإسلام، خصوصا عند انتشار الطرق الصوفية التي ساهمت بشكل كبير في غرس الثقافة العربية والإسلام فقد وجدت الأفكار الإسلامية تقبلا واستجابة من النفوس الطيبة لذلك سرعان ما اعتنقت بعض الجماعات الإسلام[1].

لعبت التجارة والتجار دوراً كبيراً في انتشار الدين الإسلامي في معظم أجزاء القارة الإفريقية، بالإضافة إلى الدعوات أو الطرق الصوفية التي كانت مكملة للدور الذي لعبه التجار والدعاة فقد ساهمت بفاعلية كبيرة في إرساء شعائر الدين الإسلامي، فانتشرت الرابطات الإسلامية، ففي القرن السابع والثامن الهجري أنشئت في فزان الرابطات التي كان لها اثر كبير في تامين طرق الحج وإقراء أبناء المسلمين القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ الدين الحنيف، الإسلام بأساسياته الدعوة للمساواة والعدل بين جميع الناس بصرف النظر عن اللون والجنس والواضع الاقتصادي، كان الكثير من علماء فزان يسافرون إلى أفريقيا لنشر الدين الإسلامي ويتنقلون بين مناطقها لتعليم سكانها مبادئ الدين الحنيف ونشر الثقافة العربية بين سكان أفريقيا[2].

فالطرق بين المراكز التجارية والبلدان الافريقية يتخللها الخطر بسبب بعد المسافات وتعرض القوافل بعض الأحيان للسلب والنهب بالإضافة إلى التعرض الجوع والعطش، فقد استطاعت هذه الطرق أن تثبت وجودها في المناطق الافريقية وأن تحول الصحراء القاحلة الميتة إلى مناطق مزدهرة وآمنة[3].

---

[1]- الفيتوري، عطية مخزوم، المرجع السابق ص: 120.

[2]- الجدال، مرجع سابق، ص: 103.

[3]- الفيتوري، عطية مخزوم، مرجع سابق، ص: 108.

فكان للطرق الصوفية دورا كبيرا في نشر وإرساء التعاليم الإسلامية والدعوة للتسامح مع المسيحيين والوثنين واستخدام وسائل الترغيب وليس الترهيب لنشر الدعوة الإسلامية وانخرط عدد كبير من الأفارقة في هذه الطرق بالإضافة إلى انتشار المراكز العلمية في عدة مناطق وهذه الرابطات والزوايا أصبحت خلايا للذكر والعبادة وإحياء المناسبات الدينية بالأذكار، والزوايا هي عبارة عن بيت خاص لرئيسها وأخرى للضيوف وحجرات خاصة لنوم الفقراء وعابري السبيل بالإضافة إلى بيت خاص بخدام الزواية، ومهمة هذه الزوايا إرشاد الناس وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، وانتشرت الزوايا في مرزق، وفي المناطق الافريقية فيما وراء الصحراء[1].

فرجال الطرق الصوفية لا يكترثون للمال ويميلون للقرى والنجوع، وتقوم الطرق الصوفية بنشاطه وحلقات الذكر ليلا حيث الهدوء والسكينة فتشد لها الحاضر وتقرب لها البعيد ويبدأ إقبال الناس إلى حلقات الذكر[2]، ومن أشهر هذه الطرق :

الطريقة السنوسية:

انتشرت هذه الطريقة بشكل كبير في الواحات الصحراوية الليبية التي كانت ميدان لهذه الطريقة الدينية والسياسية والتجارية فا لاقت هذه الطريقة إقبال كبير باعتبارها سلطة دينية في تجارة القوافل، فتم تعليم هذه الطريقة في زاوية الجغبوب، نشرت الطريقة أفكارها بواسطة أتباعها والتي أذات إلى احتكار تجاري كبير في المناطق الوثنية ، واعتنق سلطان مملكة واداي هذه الطريقة لاحتكار لتجارة تحت غطاء التضامن الإسلامي[3]، والطريقة السنوسية ترتكز أساساً على ثلاثة أساس هي الإمامة والهجرة والجهاد، ويؤمن أتباع السنوسية بفكرة الجهاد [4].

---

[1]- الشيخي، منيرة علي مسعود، مرجع سابق، ص: 144.
[2]- الفيتوري، عطية مخزوم، مرجع سابق، ص: 110.
[3]- الجدال، مرجع سابق، ص: 126.
[4]- الشيخي، منيرة على مسعود، المرجع السابق، ص: 146.

الطريقة التيجانية:

انتشرت هذه الطريقة في غرب أفريقيا بفضل جهود الحاج عمر الفوتى التكروري 1795 – 1864م، الذي اتبع الطريقة ووضع لها الأسس في كتابة الرماح"رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم" حيث يعتبره أهل هذه الطريقة المرجع الأساسي لها وكانت هذه الطريقة أكثر انتشارا وتنظيما وتداولا في أفريقيا[1].

الطريقة الحمالية:

تفرعت هذه الطريقة عن الطريقة التيجانية على يد الشيخ حمى الله 1883-1943م، وسميت بالحمالية نسبة إلى مؤسسها كان هدف هذه الطريقة هي إعادة الطريقة التيجانية إلى قواعدها التي أسسها احمد التيجاني، انتشرت هذه الطريقة في السنغال والنيجر[2].

الطريقة القادرية:

تأسست في مرزق على يد حمزة بن محمد الغراري، وتميزت بعدم استعمالها للآلات الموسيقية وابتعادها عن الرقص الديني، انتشرت هذه الطريقة في السودان الغربي عند جماعات الفولاني وبلاد الهوسا، عن طريق الشيخ الزروق الذي يعتبر من أهم رجال الطريقة القادرية في أغاديس[3]، تميزت هذه الطريقة بكونها مركزا من مراكز الإشعاع الثقافي والديني فقد ساهمت في إرساء الحياة العلمية والثقافية واقتصر التعليم فيه على حفظ القرآن الكريم وتفسيره بالإضافة إلى السيرة النبوية والأحاديث الشريفة، بالإضافة إلى الأدب والتاريخ والحساب والأوراد الخاصة بالطريقة وتخرج منها العديد من الطلاب الذين تميزوا بشهرتهم العلمية[4].

---

[1]- الجدال، مختار، مرجع سابق، ص: 124.

[2]- المرجع السابق، ص: 125.

[3]- المرجع نفسه، ص: 126.

[4]- الشيخي، مرجع سابق، ص: 149.

الطريقة المريدية:

بدأت هذه الطريقة كفرع من الطريقة القادرية ثم انشقت عنها وصارت طريقة مستقلة بذاته، وقد لقيت هذه الطريقة تأييدا وإقبالا كبير من سكان المناطق الريفية، حيث ساعدت هذه الطريقة في انتشار الثقافة العربية وتعريف الناس بأصول الدين الإسلامي[1].

الطريقة العيساوية:

تأسست على يد شيخها محمد بن عيسى في المغرب، وانتقلت هذه الطريقة إلى ولاية طرابلس على يد يعقوب الخشاب ومحمد بنون الفاسي، وانتشرت في مرزق وأصبح لها كثير من المؤيدين واشتهرت هذه الطريقة بإقامة ما يعرف (بالحضرة)،وفيها يقوم الناس بالوقوف في حلقة واحدة متساوية الصفوف تم تبدأ الأذكار في رتبة واحدة وتتزايد إلى أن تنطلق دقات الطبول حتى يشعر الجميع بالهيام حتى يبلغ المد ذروته، واغلب الأحيان يفقد الأشخاص وعيهم، ويقوم الأشخاص بعمل أشياء خطير مثل وضع الزجاج والمسامير في أفواههم، والبعض الأخر يقومون بضعن أنفسهم بالخناجر وكذلك يقوموا بأكل النار وملاعبة الأفاعي، فعلى الرغم من إن هذه الطريقة كسبت ولاء العديد من الناس إلا انه لقت رفض شديد من قبل رجال الدين والعلماء، بسبب البدع وما يقوموا بها من خرافات[2].

وقد جاء الإسلام منقذا لشعوب الافريقيا من جاهلية الوثنية ومن التقاليد البالية التي قيدوا بها أنفسهم حيث كان الرق موجود ومنتشر بصورة كبيرة ، فالتجار عندما يحلون بالبلاد يختلطون بسكان المناطق التي يحلون بها فانصهرت العلاقات بين التجار والسكان حيث يتجوزون منهم وكذلك إنشاء قرى جديدة ومراكز تجارية وفتحوا المراكز التجارية والمدارس القرآنية مما أدى إلى قيام ممالك ودول إسلامية على أنقاض دول وثنية[3].

---

[1]- الجدال، مرجع سابق، ص: 127.

[2]- الشيخي، مرجع سابق، ص: 146.

[3]- www.islam story.com,11-3-2018/12-45

التعليم:

فالتعليم في فزان يهتم أساسا بإقراء الطلاب القرآن الكريم وتعريفهم مبادئ الدين الحنيف ويأخذ التعليم طابع ديني حيث اقتصر على تعليم القرآن الكريم والأحاديث النبوية، والفقه فكان هذا هو النوع الوحيد من التعليم المتوفر داخل القرى في فزان، فظل التعليم في فزان محصوراً بتعلم القراءة والكتابة باللغة العربية لتسهيل حفظ القران الكريم، في المدارس التقليدية المعروفة والمنتشرة في المساجد والكتاتيب والزوايا، حيث يقوم بهذه العملية الفقيه أو الشيخ في حلقات دراسية ويلتف حوله مجموعة من الأطفال يحملون ألواحهم ليكتبوا عليها الآيات القرآنية، وظلت الكتاتيب هي المدارس الوحيدة لمدة زمنية طويلة[1].

فكان الفقيه أو الشيخ هو المعلم، حيث يجلس الفقيه أو الشيخ وتلاميذه على الأرض ويتلو الشيخ بعض الآيات القرآنية بصوت عالي ويرددها تلاميذه ورائه والوسائل المستعملة في الكتابة والقراءة هي لوح خشبي وأقلام مصنوعة من أعواد القصب أما الصمغ فهو مصنوع من صوف الغنم، وتستمر الدراسة طيلة الأسبوع ماعدا الخميس والجمعة فهي أيام العطلة، ولا توجد أي كتب علمية في فزان سوى الكتب الدينية المرتبطة بالفقه المالكي والتوحيد التي تساعدهم في تعلم كل ما يخص الدين الإسلامي من فقه وعبادات[2]، ومواعيد الدراسة غير منتظمة أما أن تكون في الصباح الباكر أو بعد صلاة العصر[3].

وينقسم التلاميذ إلى عدة مجموعات في الكتاتيب فالمجموعة الأولى تتكون من التلاميذ الصغار ويقوم الفقيه بتدريبهم على الكتابة، والمجموعة الثانية وهم التلاميذ المبتدؤن الذين يقرءون مجموعة من السور القصيرة عن طريق الترديد مع الفقيه، أما المجموعة الثالثة وهي المجموعة المتقدمة حيث تقوم هذه المجموعة بحفظ

1- كورو، فرنشسكو، المرجع السابق، ص: 99.

2- الشيخي، منيرة علي، مرجع سابق، ص: 142.

3- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق، ص: 145.

أجزاء من القرآن الكريم على ألواح الخشب، أما المجموعة الرابعة وهي أعلى مستوى ويقوم التلاميذ باستظهار سور القرآن على الفقيه بدون ألواح[1].

وأقيمت الكتاتيب بجهود فردية أهلية خارج المسجد، والكتاتيب عبارة عن حجرة واحدة متسعة نوعاً ما وعلى جدرانها تطف الأرفف لوضع عليه المصاحف وأجزاء القرآن الكريم، ويتم تمويلها من ميزانية الأوقاف أو بتبرع الأهالي لغرض تعليم أولادهم، أما عن المرتبات أو الأجور التي يتحصل عليها الشيخ فهي عبارة عن كميات من القمح أو الشعير أو البيض يقدمها التلاميذ لشيوخهم في نهاية الأسبوع[2].

وأتخذ التعليم في الكتاتيب والزوايا شكلان تعليم عام وتعليم دوقي فالتعليم العام يؤهل الطلبة لمتابعة دراستهم العليا[3]،وقد ساهم العلماء الصوفيون بتيسير التعاليم الدينية وشجعوا الطلاب على الاجتهاد لنيل الإجازات العلمية وتلقي العلوم والمعارف في مصر وتونس، بالإضافة إلى إقامتهم عيد للعلم ويقام هذا العيد سنويا ويتم فيه الاحتفالات وتكريم المتفوقين، فكان لهذه الطريقة اثر كبير في تشجيع الطلبة على الاجتهاد، فلم يكن التعليم داخل المسجد محصور بسنوات معينة بل يرجع ذلك إلى الطالب وقدراته على الاستيعاب التركيز[4].

وجدت اللغة العربية لغة القران الكريم إقبالا كبير من قبل الأفارقة لدرجة أنها أثرت على بعض اللغات المحلية مثل: لغة الهوسا والفلاني والصومالية حيث اقترضت رصيدا كبير من المفردات العربية، فأصبح للغة العربية مكانة مرموق بين الأفارقة حيث تنافس المثقفون منهم لاكتساب المعارف باللغة العربية التي تعتبر المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي لأصحاب الطرق الصوفية[5].

---

[1]- بن عريقة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 40.

[2]- الشيخي، مرجع سابق، ص:152.

[3]- بن عريفة، المرجع السابق، ص: 41.

[4]- الشيخي، المرجع السابق، ص: 143.

[5] -الجدال، مرجع سابق، ص: 123.

فكان لتجارة الرقيق اثر كبير في بطئ النمو السكاني حتى نهاية القرن التاسع عشر لم تكن مهمة التجار العرب التجارة فقط فقد كانوا يمارسون أعمال أخرى بالإضافة إلى التجارة فقد لعبوا دورا كبير في نشر الإسلام في المناطق الأفريقية، وكذلك نشروا معارفهم وعلومهم وعادتهم وتقاليدهم وثقافتهم وتقدمهم الحضاري في جميع الميادين، فكان التاجر العربي يحظ بالاهتمام والاحترام فهو يمثل وداعية للعقيدة الإسلامية[1].

ففي العهد العثماني الثاني جرت بعض الإصلاحات والتغيرات الإدارية وأنشئت في سنة1877م، في مرزق أول مدرسة تركية نظامية وهي المدرسة الرشيدية، وفرضت الحكومة التركية تعليم اللغة التركية إلى جانب اللغة العربية، والقرآن الكريم، والتاريخ العثماني والتاريخ العام، والخط العربي، بالإضافة إلى الرسم والموسيقا، والمعلمون أتراك ومن شروط الالتحاق بهذه المدرسة إتقان اللغة التركية، وان يكون عمر الطالب مابين ثمان سنوات إلى اثني عشر سنة وان يتمتع بصحة جيدة، ومدة الدراسة أربع سنوات[2].

الثقافة:

بعد تأسيس مدينة مرزق انتقل إليها النشاط الثقافي والاجتماعي حيث أصبحت القاعدة الرئيسية للصحراء الكبرى[3]، وإقليم فزان بالمجمل غني بالأدب الشعبي مثل الشعر والحكايات الشعبية والألغاز بالإضافة إلى الأغاني والقصائد والحكم والأمثال[4].

فازدهرت المدينة بالشعر والشعراء وكان لهم دورا كبيرا في الوصف والتعبير عن حياة المجتمع بما فيها من أفراح وأحزان، وكانت الحكايات والألغاز والقصائد والأبيات سجلا مدونا لعاداتهم وتقاليدهم والقصائد دائما ما تكون نابعة من تجارب

---

[1]-الجدال، المرجع نفسه، ص: 122.
[2]- الشيخي، مرجع سابق، ص: 154.
[3]- بن عريفة، مرجع سابق، ص: 257.
[4]- بن عريفة، المرجع نفسه، ص: 81.

شخصية ويكون فيها عبرة وموعظة فكان لها أثره في المجتمع، فتنوعات الأبيات المتداولة واختلفت من موضوع إلى أخر فمنها ما يتكلم عن البخل ومنها ما يتكلم عن الصبر وعن الأسرة المتماسكة وعن كيد النساء وعن الحنين للوطن، كالذي هاجر وطنه وانتقل للعيش في مكان أخر أما أن يكون سعيا وراء الرزق لتحسين دخلها، كقول الشاعر(أمحمد قنانه):

تركناه وطن العز نجلو منه *** بلا مال لا هو فرض ولاهو سنة

تركـ البين *** نحنا وطنا ما هو علينا هين

وأن لاهمومك الدين ماتدين *** راهو عقاب الدين يبقى غنه

وأما هذه الأبيات قيلت في الصبر والدعوة إليه، وتقبل أمر الله بنفس صابرة لأنه ليس لنا القدرة على ردها أو الاعتراض على حكم الله، تقول الأبيات:

يا نفس كوني عاقلة وصبارة *** حكم خالقك مالك معاه دبارة

يا نفس كوني عاقلة وعزومه *** حكم خالقك مالك معاه خصومة[1].

الحكايات الشعبية :

الحكايات الشعبية هي ثقافة أدبية وتراث شعبي يتم تنقلها من جيل إلى أخر شفهيا وهي مرتبطة بعادات وتقاليد المجتمع، وهي عبارة عن قصص أما أن تكون قائمة على الأحداث السابقة أما أن تكون واقعية أو خيالية أي انه مأخوذة من العالم الخيالي حيث لا ترتبط بظروف الحياة الواقعية، فالحكايات فيها من العبر والموعظة وتختلط فيها روح النكتة بالمغامرة، وغالبا ما تقوم العجائز بحكايتها إلى أحفادها ليلاً ويتم سردها في وسط من الجماعة ويتم إلقائه بطريقة خاصة مثل تغير الصوت بما يناسب الشخصية بالإضافة إلى حركات اليدين وتغير ملامح الوجه، حيث يتداولها

[1]- الشيخي، منيرة علي مسعود، مرجع سابق، ص ص: 158- 161.

الناس في أوقات الفراغ بهدف التسلية والتثقيف، والحكايات الشعبية متنوعة ومختلفة كالحكايات الدينية، والفكاهة، وحكايات الحيوانات، وحكايات العظة والاعتبار[1].

واغلب الحكايات الشعبية تتمحور حول الغول أو ما يسمى (مروليه) وتظهر (مروليه) للرأي على هيئة نار تشتعل وتنطفئ وتنتقل من مكان إلى أخر عندما يكون مسافر بمفرده وهذه الحكايات تبعث الخوف والرعب في نفوس الأفراد، باعتقادهم إنها تسكن الأماكن المهجورة والمقابر، وهذه الحكايات تستعمل كأداة لتخويف الأطفال[2].

والحكايات التي تجمع في طياتها بين الواقع والخيال وهي تحمل العبرة والموعظة والحكاية**:** إن زوجة ما ضاقت من الحياة مع زوجها فغاضت ورجعت إلى بيت أهلها فبعد مرور الوقت جاء عيد الفطر فندمت على فعلتها وتمنت الصلح لكن الزوج لم يهتم، وعندما حل عيد الأضحى ولم يكترث بها، فصممت على الرجوع إلى بيت زوجها فملئت قفتها باللحم والخبز وأمرت خادمتها برفع القفة، وهي في طريق العودة إلى بيت زوجها سمعت الفلاح يغني الأبيات التالية:

مسكين يا ولد لجواد ******* يدلل على قايداته

ولو ما صبر يوميين ******* مراسيل لجواد جاتا

فندمت على فعلتها ورجعت من نصف الطريق وبعد مرور يوميين أقبل الزوج طالبا الصلح، فما كان منها إلا أن أهدت القفه بما فيه إلى ذلك الفلاح الذي نبهها إلى أمر مهم، وهو أن ابنة الكرام يجب عليها الصبر والثبات على الأمر التي عزمت عليه، وعدم أدلال نفسها وأهلها عندها ستحصل على ما تريد معزازة مكرمة[3].

وكذلك هناك الحكايات التي تجري مجرى الألغاز وفحواها أن فارسا أتي من السفر يسأل عن مضيفه فوجد ابنتهم فسألها عن أبيها فقالت (مشي يسقد في اللي ما يولي)، وسألها أيضا عن أمها فقالت (مشت تحارب في ربي) ثم سألها عن أخوتها

---

[1]- الشيخي، منيرة علي مسعود، مرجع سابق، ص: 162.

[2]- بن عريفة، الطاهر المهدي، مرجع سابق، ص: 56.

[3]- بن عريفة، الطاهر المهدي، المرجع السابق، ص: 85.

فقالت عن أكبرهم (مشي يطلق في الماء على الماء) وقالت عن الأخر (مشي يطلق في الريح على الريح) ثم طلبت منها الدخول وقالت لها (أدخل فارس وأبرك جمل)، وعندما عاد رب البيت أخبره انه كان في المقبرة يدفنون أحد الموتى وهذا ما تقصدها الفتاة عندما قالت (مشي يسقد في اللي ما يولي) بمعنى إن الموت يعني انقطاع الأثر، أما عن الأم فهي كانت تندب مع الندابات على الميت وهذا ما كانت تقصدها عندما قالت إن أمها (مشت تحارب في ربي) فالندب على الميت مكروه، أما أخاها الذي (ذهب يطلق الماء على الماء) وهي تقصد بذلك انه يسقي الدلاع والخيار، أما عن أخاها الأخر الذي (ذهب يطلق في الريح على الريح) أي انه أخذ كلبه السلوقي وذهب لصيد الغزال بمعني الخفة والسرعة التي يتميز بها الكلب والغزال[1].

الألغاز:

هي عبارة عن إلقاء مجموعة من الكلمات التي لا تحدد المعنى المقصود لكنها تشير اليه إشارات غامضة ومبهمة، وعلى السامع أن يحدد المعنى المقصود من هذه الكلمات، فالألغاز غالبا ما تكون في قالب جميل يوحي بسحر الواحات وعبق الصحراء وهي تجمع بين الذكاء والسذاجة[2].

ومن الألغاز المتداولة: طيه على طيه كيف حزام البدوية؟

فالجواب هو رأس (البصل) أي إن لفات جذر البصل تشبه إلى حد كبير طيات الحزام الذي تلبسه نساء البادية.

الفنون:

الانصهار والتمازج الذي حدث بين سكان فزان وبين الأفارقة أذي إلى ظهور نوع جديد من الفنون في مرزق،والذي أصبح يخص مرزق وهو ما يعرف "بالمرسكاوي" وينسبه الكثيرون إلى "المرزقاوي" نسبة لمرزق التي اشتهرت في

---

[1]- بن عريفة، الطاهر المهدي،مرجع سابق، ص ص: 83- 84.
[2]- بن عريفة، الطاهر المهدي، المرجع السابق، ص: 81.

السابق بالثراء، وهذا الفن مزيج من الفن الأفريقي والامازيغي (الأندلسي) والعربي، وعلى الرغم من التقاليد الإسلامية إلا أن أهل مرزق يحبون الموسيقى والغناء والرقص حب شديداً،وتميز هذا الفن بأنغامه المتنوعة وتنوع إيقاعاته الموسيقية المميزة[1].

تميزت مدينة مرزق في الأغاني الشعبية المتنوعة عن بقية الواحات الليبية مما جعلها تشتهر بأنماطها الغنائية المتنوعة فانقسم الفن الغنائي إلى قسمين وهما: الفن الغنائي الخاص بالمناسبات والأعياد الدينية وهذا الفن عبارة عن الأذكار والأناشيد والقصائد والمدائح النبوية ونوبات المألوف، وارتبط هذا الفن بالزوايا لنشر تعاليمها الصوفية وذلك عن طريق ترديد مجموعة من الأذكار والأناشيد الدينية، بالإضافة إلى الفن الغنائي الدينوي وهو عبارة القصائد والأناشيد الوطنية وأغاني المناسبات الاجتماعية (الأعراس) يوجد منها نوعان(رجالية- نسائية)، وأغاني العمل الحصاد وأغاني الفلاح تسمى (المرجع) وأغاني الجهاد، وتختلف طريقة غناء الأغاني الدينوي في أدائه عن بعضها البعض فأغاني الأعراس تصاحبها الآلات الموسيقية والرقص والتصفيق والزغاريد، أما أغاني العمل تصغ باللهجة العامية الدارجة وتؤدي بالحان شعبية بسيطة سهلة الحفظ والترديد ولا تصاحبه أي آلة موسيقية أو إيقاعية، أما عن أغاني الجهاد فهي تعرف (بالمهجاء) حيث تعتمد على نص من الشعر في قالب ارتجالي و تؤدي بصوت منفرد لبعث الحماس في قلوب المجاهدين[2]

.

نماذج من الأغاني المرزقاوية (المرسكاوي):

أغاني الأفراح:

صــــلـــي يـــا مـــصــلـــي *** صــلـــى الـلــه عـلـيـــه

نـــبـــيـــنـــا مـــحـــمـــد يـــرحـــم مـــن صـــلـــى عـــلـيـــه

مـــــرحب لا جـــيـــتـــي تـــنـجــري *** فـــي بـــدلات حـــريـــر تـــكـري

[1] http: //alwasat.ly.com،أسماء بن سعيد، القاهرة، 24-1-2017، 12:30ص.

[2]-الشيخي، مرجع سابق، ص: 135-136.

أغاني الحصاد:

اللـــي ســـرى الليــــــــل**** مـقـمـاقـمـتـه لـقـطـوهـا

ولا عـاش تـــخـلـف رطـب زيـــن***ولا عـــــاش يـــقـربـوهـا

****

هـــــويـــنـــا بـــان **** هــــويـــنــا بـــان

حـــــد الـــفــــدان هوينا بـــان ***مــن ثـلــث أركـــان هــويــنــا بــان

أهل فزان قوم مغرمون بالموسيقى وموسيقي فزان تتكون أساسا من عدة الآت موسيقية مثل الطبل وهو يصنع من جذع النخيل حيث يجوفونها تم يفردون عليه رقعة من جلد الإبل على فتحتيه من الجانبيين وتتبث بشبكة من الحبال على جانبيه، والطبلة تسمى (الدنقا)، والدربوكة، والنوبة وهي عبارة عن اسطوانة خشبية ويتم شدها بواسطة شبكة من الحبال، والقرب الموسيقية البدائية التي تسمى المقرونة أو (الزكرة)، والبندير، والطبل الأصغر تسمى (ظبظبة)[1].

أما عن الرقص فهو يعتبر مظهراً حضارياً يقاس بها تقدم الشعوب وتأخرها ويعتبر من أقدم الفنون كما أن الرقص يقوم بها الفرد والجماعة والنساء والرجال وهو ينمى الذوق والإحساس ويهذب الأخلاق ويرفه عن النفس، ويختلف أسلوب الرقص لدى الرجال عن النساء ويرجع ذلك إلى العادات والتقاليد وتنوع مضمون الرقصة، فمنها ذات طابع ديني ورقصات الأفراح والمناسبات بالإضافة إلى رقصات العمل، والرقصات الشعبية في مرزق كثيرة ومختلفة منها التي تقام في الأفراح والمناسبات الدينية والأعياد ومن أهم هذه الرقصات (الزمزوك)، (الأفعى)، (الشتاية)، (المكسورة)، (الكاسكا)، (جنبي)، (أبلق تعال)[2].

---

[1]- ليون، جون فرنسيس، مرجع سابق،ص: 180.

[2]- الشيخي، مرجع سابق، ص: 130.

أمثله عن الرقصات وطريقة أدائه:

رقصة الزمزوك وهي رقصة نسائية تقوم بها النساء في المناسبات، حيث تتحزم المرأة بردائها على خصرها وتقوم بتغطية الوجه وتندفع برفقة الراقصات في وسط حلقة من الحاضرين حيث يتخذن الراقصات خط سير دائري وفق الإيقاع مع التصفيق والزغاريد، وتتم هذه الرقصة بمصاحبة الطبل والدبدبة والمقرونة[1].

رقصة الكاسكا التي اشتهرت في مرزق تعود أصولها إلى الزنوج و تدل هذه الرقصة على (الحرب من أجل الحصول على الماء) فيستخدمون في هذه الرقصة العصي والسيوف، فتبدأ رقصت الكاسكا بفتاة ترد على بئر ماء حيث تدلي الدلو وتخرجه مملوءاً بالماء والأمان ويظهر ذلك في حركاتها وتعبير وجهه، وفجأة يخرج عليها شاب غاضب ويهاجم الجرأة الملية بالماء ويفرغ الجرة في البئر ويطرد الفتاة، فيرقص الشاب الغاضب مدافعاً وحارسا للبئر، ويهاجم شاب أخر وتبدأ المعركة وتشتد على إيقاعات الطبول ليتجمع رجال القبيلتين ويخوضوا معركتهم على وقع الطبول ورنين السيوف وزغاريد النساء من اجل الحصول على الماء إلى أن تصل المعركة إلى ذروتها فيظهر رجل كبير في السن ويشير بعكازه إلى الشباب ويأمرهم بالتوقف عن القتال وان يتصالحوا، فيفعلوا ما أمرهم به ويعانق كل مقاتل غريمه، وينادي الشيخ الكبير على الفتاة ويأمر الشاب الذي طردها بان يملأ لها جرته، لتتحول الكاسكا إلى رقصة الاحتفال بالسلام والماء[2]

---

[1]- الشيخي، مرجع سابق، ص: 131.

[2]- www.alhayat.com/2018-1-12/01:39

الخاتمة

تعد مدينة مرزق من المدن الصحراوية التي ظهرت في بداية القرن السادس عشر الميلادي، والتي اعتمدت على تجارة القوافل الصحراوية إلى جانب عوامل أخرى ساعدت على تطورها، ولكن هذه العوامل لم تستطع إنقاذها من الانهيار عندما تعرضت تجارة القوافل للمضاربة في نهاية القرن التاسع عشر، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي::

- اكتشاف رأس الرجاء الصالح، واختراق الأوروبيون أفريقيا عن طريق المحيط الأطلسي، حيث قلل من أهمية الطريق المار عبر فزان، وأصبحت التجارة تصدر إلى أوروبا عن طريق المحيط الأطلسي لأنه أكثر أمان من الطريق المار عبر الصحراء الكبرى.
- انخفاض الطلب على بعض السلع الأفريقية مثل ريش النعام والجلود المدبوغة.
- الاضطرابات السياسية والأمنية في المنطقة بسبب الصراع التركي الفرنسي.
- الاحتلال الأوروبي على مناطق فيما وراء الصحراء وإنشاء طرق جديدة وسهلة للتصدير البضائع الافريقيا عن طريق المحيط الأطلسي.
- الثورات والاضطرابات الداخلية للبلاد بسبب ثقل الضرائب على السكان، وضعف الدولة العثمانية.
- تحريم تجارة الرقيق من قبل الباب العالي، وهذه التجارة هي أساس تجارة القوافل.

التوصيات

- الاهتمام بدارسة تاريخ المنطقة الحضاري والثقافي والفكري والاجتماعي.

- كذلك يجب استغلال الموارد الاقتصادية للمنطقة بالشكل الصحيح من قبل الدولة والعمل على صيانة الطرق وفتح الطرق أمام التجارة والتجار وإنشاء المحطات.

- الوعي الاجتماعي والاهتمام بالزراعة واستغلال الأراضي الخصبة واستصلاحها.

- الاهتمام بالصناعات التقليدية التي تعتمد على المواد المتوفرة في البيئة المحلية وتطويرها بالشكل الذي يتمشى مع الوقت الحاضر، لخلق نوع من التكامل الاقتصادي في الإنتاج المحلي.

النتائج

1- أوضحت الدراسة إن مدينة مرزق تأسست وازدهرت في عهد أولاد أمحمد الفاسي في القرن السادس عشر.

2- وإن مدينة مرزق أسست كمحطة لتجارة القوافل الصحراوية.

3- أشارت الدراسة إلى نظام الحكم في مدينة مرزق وإلى التطورات الإدارية منذ عهد أولاد أمحمد حتى العهد العثماني الثاني.

4- والى الأسباب التي أدت إلى ازدهار المدينة سياسيا واقتصاديا.

5- والأسباب التي أدت إلى قدوم الأتراك إلى فزان، وأسباب الثورات والاضطرابات وعدم الاستقرار السياسي في المنطقة.

6- وأشارت أيضا إلى الصراع الذي حدث بين الأتراك العثمانيين والفرنسيين على الصحراء الليبية.

7- أشارت الدراسة أيضا إلى الجانب الاقتصادي للمدينة، التجارة الداخلية والدور الذي لعبته مدينة مرزق في هذه التجارة.

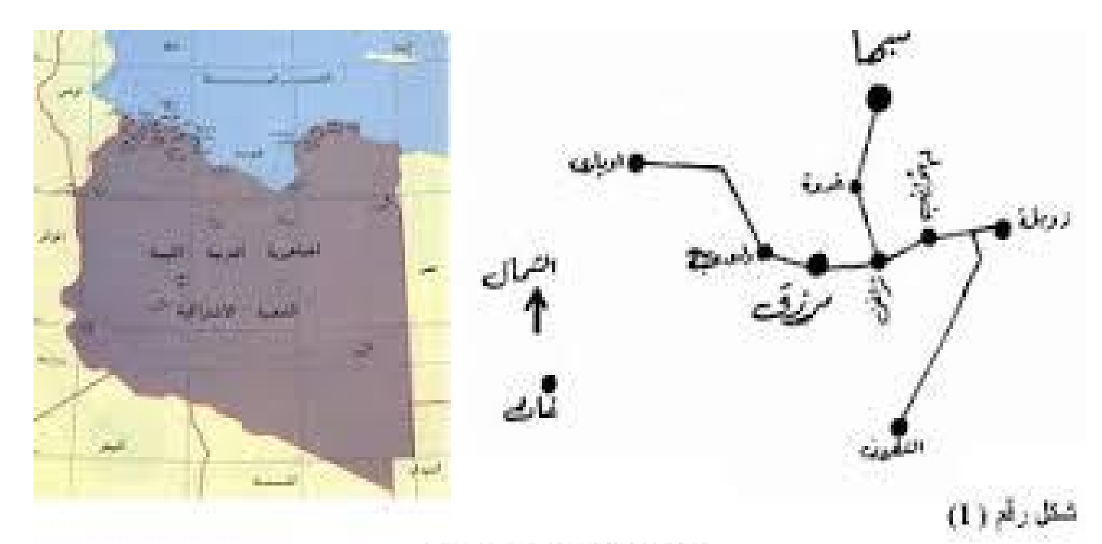
8- وإلى تجارة القوافل الصحراوية والى أهم الطرق التي سلكتها القوافل الصحراوية، والمراكز العمرانية.

9- بينت الدراسة دور التجارة وطرق القوافل في نقل الحضارة العربية والدين الإسلامية واللغة والثقافة العربية التي انتشرت بين الشعوب الافريقية فيما وراء الصحراء.

10- ودور العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية في إنعاش عملية التعليم ونشر الدين الإسلامي ونشر الثقافة العربية.

11- أوضحت الدراسة أيضا، اثر التجارة على مظاهر الحياة الاجتماعية التي ميزت مرزق عن غيرها من الواحات والمناطق بثقافة سكانها وحبهم الشديد للموسيقى وفنونها الشعبية من غناء ورقص.

الملاحق



شكل رقم (1)

خريطة توضح موقع مدينة مرزق الإقليمي



شكل رقم(2)

صورة توضح مدينة مرزق



شكل رقم(3)

صورة توضح قلعة مدينة مرزق

نقلا عن صفحة مرزق



شكل رقم(4)

صورة توضح المدينة



شكل رقم(5)

صورة توضح المسجد العتيق



شكل رقم(6)

صورة للقوافل التجارية

قائمة المصادر المراجع

- **المصادر:**

1-الأنصاري، احمد بك، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، مكتبة الفرجاني طرابلس –ليبيا، (د.ت) .

2- الحشائشي، محمد بن عثمان، رحلة الحشائشي إلى ليبيا سنة 1895م (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب 1855 - 1912م)، تحق: علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، الطبعة الأولى- 1965م.

3-ابن غلبون، عبد الله محمد، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، تحق: الطاهر أحمد الزاوي، دار الكتاب الوطنية، بنغازي- ليبيا، ط: الأولى – 2004م.

- **المراجع:**

أ- المراجع العربية:

1-الأبيض، رجب نصير، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي، دار الكتب الوطنية – طرابلس، الطبعة الأولى – 1998م.

2- أيوب، محمد سليمان، مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 1811م، المطبعة الليبية – طرابلس، 1967م.

3- الجدال، المختار، طرق تجارة القوافل عبر الصحراء الليبية، وزارة الثقافة والمجتمع المدنى ، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، 2013م.

4-خوجة، مصطفى، تاريخ فزان، تحقيق: حبيب وداعة الحسناوي، كلية التربية – جامعة الفاتح، دار المرشد، 1979م.

5- الدالى، الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، الدار المصرية اللبنانية – القاهرة، الطبعة الأولى – 1999م.

6- الدناصوري، جمال الدين، جغرافية فزان، دراسة في الجغرافية المنهجية والإقليمية، منشورات كلية الآداب، دار ليبيا، بنغازي – ليبيا، 1967م.

7-سهل بن عمران وقدومه فزان، جمع وتحقيق: حسن عبد الله محجو، مخطوطة الشيخ قاسم بن إبراهيم بن عمر بن قاسم المؤدن، نقلا عن نسخة الشيخ محمد الحضيري بن الحاج عمر بن سالم، مخطوطة الشيخ محمد بن عبد القادر العالم بن احمد، دار الكتب الوطنية، بنغازي – ليبيا، الطبعة الأولى: 2012م.

8-شرف، عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، مركز الإسكندرية، الطبعة الثالثة – 1995م.

9- الشيخي، منيرة علي مسعود، الأوضاع الإدارية والاجتماعية والثقافية في مدينة مرزق من(1842- 1911م)، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، دار الكتب الوطنية – بنغازي، الطبعة الأولى – 2010م.

10- بن عريفة، الطاهر المهدي، تاريخ فزان الثقافي والاجتماعي، دار الكتب الوطنية، بنغازي - ليبيا، الطبعة الأولى – 2010م.

11- الفيتورى، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)، الطبعة الأولى – 1998م.

ب- المراجع المعربة:

1- روسي، إتوري، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، ترجمة: خليفة محمد التليسي، مكتبة الإسكندرية، الطبعة الثانية - 1991م.

2- زليتنز، جان كلود، طرابلس ملتقى أوروبا وبلدان وسط افريقيا1500-1795م، تر: جاد الله عزوز الطلحي، الدار الجماهيرية، مصراته، الطبعة الأولى -2001م.

3- غانم، عماد الدين، (محرر ومترجم)،رحلة عبر أفريقيا: مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا1865-1867م، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية - طرابلس، الطبعة الأولى - 1996م.

4- غانم، عماد الدين، في مجموعة دراسات للرحالة الألماني الدواخل الليبية، غوتلوب أدولف كروازه، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب– طرابلس، ط: الأولى - 1998م.

5- فيرو، شارل، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس – بنغازي، الطبعة الثالثة: 1994م.

6- كورو، فرنشسكو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، طرابلس- 1971م.

7- ليون، جون فرنسيس، (من طرابلس إلى فزان 1818م)، ترجمة: مصطفى جودة، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1976م.

8- هورنمان، فريدريك، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797م، ترجمة: مصطفى محمد جودة، مكتبة الفرجاني، طرابلس – ليبيا، 1968م.

- **الدراسات السابقة:**

1-عبد الصمد، عبد الصمد عبد القادر، الأوروبيون وتجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب – ليبيا – في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، رسالة ماجستير- غير منشورة، السودان- جامعة أم درمان الإسلامية- كلية الآداب، قسم التاريخ، 2006-2007م.

2-السنوسي، علي السنوسي، عهد أولاد أمحمد بفزان 1550- 1813م، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة سبها، 2010م.

- **الدوريات:**

1- الفيتورى، عطية مخزوم، فرنسا وقضية الحدود الليبية، مجلة البحوث التاريخية، منشورات جامعة الفاتح – مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، السنة الحادية عشرة – العدد الثاني – يوليو 1989م.

2- نجم، محمود عبدالله، أفريقيا والاستعمار دراسة تقويمية في أصول التطور الجيويولييكي، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، السنة الحادية عشرة – العدد الثاني – يوليو 1989م.

- **مواقع الانترنت:**

www.islam story.com

http://alwasat.ly/news

www.alhayat.com

http://www.iraqkair.com

http://www. liby11.com

http://mirathlibya.blogspot.com

https: //www.marea. org